الإعجاز البياني

تاريخ ومعالم وتقويم

الدكتورة هيفاء بنت عثمان عبّاس فدا

كّليّة اللّغة العربيّة , جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين, الّذي شرّفنا بالإسلام, وهدانا إلى تدبّر آيات كلامه المعجز, وصلّي يارب على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم, وبعد:

فقد كنت استشرف دوماً ومنذ بواكير دراستي العليا إلى القرآن الكريم, وهذه الدّراسة الموسومة بـ"الإعجاز البلاغيّ- تاريخ ومعالم وتقويم" مساهمة متواضعة لتجاور مساهمات كثيرة سبق بها علماء أجلاء وبلاغيّون كبار, وإنّما رامت الإجابة عن عدد من التّساؤلات تثار حول موضوع الدّراسة, وتتمحور حول ماهيّة الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم؟ وكيف نشأ الإعجاز البلاغيّ في كنف الدّراسات اللّغويّة والبلاغيّة والقرآنيّة حتّى صار علماً على إعجاز القرآن الكريم؟ ثمّ ماهي أطوار الكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم؟ وما معالم كلٍ, وما التّقويم العام له؟.

ولـمّا كان من أهداف المؤتمر العالميّ الأوّل للباحثين في القرآن الكريم وعلومه والّذي عنوانه: "جهود الأمَّة في خدمة القرآن الكريم وعلومه" - تبيّن خلاصة جهود الأمَّة في مختلف ميادين خدمة القرآن الكريم, وانطلاقاً من المحور الرّابع, والمعنون بـ "جهود الأمَّة في بيان إعجاز القرآن الكريم"؛ ومنه: الإعجاز البلاغيّ فقد كانت هذه الدّراسة ثمرة لهذا المحور, وبينهما من العلائق ما لا ينفصم ؛ إذ يتتبّع جهود الأمّة في صياغة تاريخ الإعجاز البلاغيّ.

وعليه فقد استقامت الدّراسة في تمهيد, وثلاثة مباحث, وخاتمة.

فأمَّا التّمهيد ففي مصطلح الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم.

وأمَّا المبحث الأوّل فيتضمّن بياناً بـ"أطوار الكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم", ويتمثّل في أربعة أطوار:

فأمَّا الطّور الأوّل فهو: "بواكير الإشارات في كتب اللّغة والنّحو", ومن أوائلها كتابان اثنان؛ أحدهما: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة, والثّاني: "معاني القرآن" للفرّاء.

وأمَّا الطَّور الثّاني فهو: "الرّسائل", وتمثّله رسالتان؛ إحداهما: للخطّابيّ, وهي: "بيان إعجاز القرآن"، والثّانية: للرّمّانيّ, وهي :"النّكت في إعجاز القرآن".

وأمَّا الطّور الثّالث فهو: "الكتب", ويمثّله كتاب: " إعجاز القرآن" للباقلّانيّ, وكتاب: "المغني في أبواب التّوحيد والعدل"، للقاضي عبد الجبّار الهمذانيّ، وكتاب: "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجانيّ, وتفسير: "الكشّاف" للإمام الزّمخشريّ .

وأمَّا الطّور الرّابع فهو: "الدّراسات الحديثة", ويمّثلها مصطفى صادق الرّافعيّ وكتابه: "إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة"، وسيّد قطب وكتابه: "التّصوير الفنّيّ في القرآن", ود. محمّد عبدالله دراز وكتابه: "النّبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن", ود. عائشة عبد الرّحمن وكتابها: "الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، ومحمود محمّد شاكر وكتابه: "مداخل إعجاز القرآن".

وأمَّا المبحث الثّاني: فيعرض لما انتهت اليه الكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم, ويتحدّث عن: "السّمات العلميّة للكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم" في صورته النّهائية.

وأمَّا المبحث الثّالث فهو: "تقويم عام", ويتصدّى لفحص ونقد ما كتب حول الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم في ضوء ما عرضت له الدّراسة.

وأمَّا الخاتمة, ففيها مجملٌ لنتائج الدّراسة.

ولقد حرصت الدّراسة على الرّجوع في المادة العلميّة إلى مصادرها الأوّلى, مستعينة بأمانة النّقل, وإسناد الأقوال إلى قائليها، متجنّبة الزّلل ما وسعها.

والله نسأل أن ينفع بهذه الدّراسة, إنّه سميع مجيب؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

تمهيد: في مصطلح الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم

لم يرد مصطلح "إعجاز" هكذا بهذه اللّفظة, ولا حتّى مصطلح "معجزة" لا في آيات القرآن الكريم, ولا في كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم, ولا في كلام الصّحابة والتّابعين.[1]

ولا خلاف في أنَّ المراد بمصطلح "إعجاز القرآن" إنّما هو عجز النّاس عن الإتيان بمثله. ولئن اتسعت آراء العلماء حول الإعجاز القرآنيّ لأنواع عديدة تتعلق بحقائق القرآن الكريم, وموضوعاته, وقضاياه, ومسائله, ومضامينه؛ فاشتمل على التّناول العلميّ, والتّشريعيّ, والعدديّ، والنّفسيّ, والغيبيّ, والتاريخيّ, والتّربويّ؛ حسب الرؤية الّتي ينطلق منها الدّارس؛ أي الثّقافة الّتي تؤطّره, والأسئلة الّتي تقوده, والمتن الّذي يختاره – فإنَّ نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين, في قومٍ بلغوا الغاية في الفصاحة والبلاغة والبيان, وتحدِّي القرآن الكريم لهم على تنوّع مراحل التّحدّي, فضلاً عن أنَّ الوقفة المتطوّرة والمتأنّية إزاء

---

[1] – انظر: (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبّانيّ)، د. صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، ص 81.

تعبيرات القرآن الكريم الرَّائقة, وأساليب بيانه الفائقة, وطرائق نظمه الخالبة, ودلالات تراكيبه الفاعلة – تجعل المدخل الرّئيس إليه هو المدخل البلاغيّ؛ لأنّه عامٌ في القرآن الكريم كلّه حتّى القصار من السّور فيه. في حين تظلّ المداخل الأخرى المذكورة جانبيّة أو ثانويّة؛ لأنّها تمثّل الإعجاز في آي معدودة فقط فلا تشمل القرآن كلّه. ومن المهمّ أنّ المدخل البلاغيّ لا يستبعد المداخل الأخرى بل يوظّفها ويستفيد منها في حدود ما تتطلّبه الإبانة عن الخصائص البلاغيّة للإعجاز القرآنيّ, وهذا الأمر لا يتعارض بحالٍ مع إجماع الباحثين على القول بالإعجاز البلاغيّ.

وهكذا فإعجاز القرآن الكريم ينتمي – إذاً – إلى المجال البلاغيّ؛ باعتباره إعجازاً ينشد التّأثير, والاستيلاء على النّفوس, واكتناه جماليّات النّصّ القرآنيّ بكافة مستوياته وأنساقه. وغير خافٍ ما للتّراث الضّخم من الكتب والرّسائل المفردة الّتي شارك في إنتاجها اللغويّون والمتكلّمون والبلاغيّون والمفسّرون والمتأدّبون– من أثر في تحوّل إعجازه عن كونه مجرّد فكرة موجزة إلى كونه علماً قائماً بذاته مستقلّاً؛ فنشأ "علم البلاغة القرآنيّة", أو "علم بلاغة القرآن", أو "علم أساليب البيان في القرآن", أو "علم النّظم القرآنيّ".

وبناء على كثرة المؤلّفات الّتي تتحدّث عن إعجاز القرآن الكريم، وكيفيّته، وحقيقته، ووجوهه، وبناء على اختلاف المرجعيّات العلميّة والفكريّة لتلك المؤلّفات فقد تعدّدت الإجابات تعدّد وجهات النّظر. وبحسب هذه الدّراسة أن تشير إلى أبرز أطوار الكتابة في هذا المجال، والسّمات العلميّة لكلٍّ. وهذا ما ستتولّى المباحث القادمة الإجابة عنه إن شاء الله تعالى.

المبحث الأوّل: أطوار الكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم

الطّور الأوّل: بواكير الإشارات في كتب اللّغة والنّحو:

وفيه وضعت البذرة الأوّلى الّتي تولّاها العلماء بالرّعاية والعناية بعد ذلك؛ فأثمّرت بحوثاً جليلة في بلاغة القرآن الكريم.

وقد سيطر على هذه المرحلة الطّابع اللّغويّ حيث إنَّ المؤلفين من علماء اللّغة البارزين فيها.

وسنقف في هذا الطّور إزاء كتابين؛ أوّلهما: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، وثانيهما: "معاني القرآن" للفرّاء.

أ. أبو عبيدة وكتابه: "مجاز القرآن":

هو أبو عبيدة، معمر بن المثنى، وُلد في البصرة، وكان أحد أئمة اللّغة الكبار، وتوفيّ سنة209هـ، وقيل 210هـ.[1]

وكتابه: " مجاز القرآن" أوّل كتاب وصلنا يحمل هذا الاسم ويتناول هذا الموضوع، ومن ثمّ فإنَّه يعدّ عند كثير من الباحثين صاحب الخطوة الأولى من حيث الكتابة في مجال إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ، وإن كان الكتاب يغلب عليه الطّابع اللّغويّ.[2]

وقد قدَّم أبو عبيدة لكتابه بمقدّمة تدور حول بعض المسائل اللّغويّة؛ منها: اشتقاق كلمة "قرآن". ويقرر أنَّ القرآن الكريم يسير على طريقة العرب في التّعبير، ولا يخرج عن سننهم في ذلك؛ فيقول: وفي القرآن مثل ما في كلام العرب من وجوه الإعراب والمعاني.

ثمّ أخذ يعرض بعد المقدّمة لسور القرآن وآياته مفسّراً لها مبيّناً ما في بعضها من المجاز الّذي يقصده. والمجاز عند أبي عبيدة يقصد به معناه اللّغويّ ، وهو طريق الآية في التّعبير عن معناها. ولا يقصد به ما اصطلح عليه البلاغيّون في تعريف المجاز. ومن يراجع كتابه يرى هذا المعنى للمجاز ظاهراً من أوّل الكتاب؛ فكلّ تعبير وردت عليه الآية وأدَّت به معناها هو مجازها، وطريق مرورها إلى المعنى؛ فقد ذكر عند حديثه عن البسملة ما يبّين هذا المعنى ويوضّحه, وكذا ما يشير إلى بعض ما في الكتاب من أمور ومسائل بلاغيّة فقال: ففي القرآن ما في الكلام العربيّ من الغريب والمعاني, ومن المحتمل من مجاز ما اختصر, ومجاز ما حذف, ومجاز ما كفّ عن خبره, ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع, ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع, ووقع معناه على الاثنين, ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد, ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد إذا أُشرك بينه وبين آخر مفرد, ومجاز ما خُبّر عن اثنين أو عن أكثر فجعل الخبر للواحد أو للجميع, ومجاز ما خُبّر عن اثنين أو أكثر من ذلك, فجعل الخبر للأوّل منهما, ومجاز ما خُبّر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للآخر منهما، ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر النّاس؛ والحيوان كل ما أكل من غير النّاس وهي الدّوابّ كلّها, ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب, ومعناه مخاطبة الشّاهد, ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشّاهد ثمّ تركت وحوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب, ومجاز ما يزاد من حروف الزّوائد, ويقع مجاز الكلام على إلقائهن, ومجاز المضمر استغناء عن إظهاره, ومجاز المكرّر للتّوكيد, ومجاز المجمل

---

[1] – انظر: ترجمته في: (تاريخ بغداد)، البغداديّ، 15: 338-345. و(تاريخ دمشق)، ابن عساكر، 59: 423-426. و(معجم الأدباء)، الحمويّ، 6: 2709. و(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان)، ابن خلّكان، 5: 235-243. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 9: 445-447. و(ميزان الاعتدال في نقد الرّجال)، الذّهبيّ، 4: 155.

[2] – انظر: (البحث البلاغيّ في ظلال القرآن الكريم) , د.الشّحّات أبو ستيت, ص13-14.

استغناء عن كثرة التّكرير, ومجاز المقدّم والمؤخّر, ومجاز ما يحوّل من خبره إلى خبر غيره بعد أن يكون من سببه, فيجعل خبره للّذي من سببه ويترك هو, وكلّ هذا جائز قد تكلّموا به .[1]

وكما أسلفنا فهذا النّص بيّن الدّلالة على قصد أبي عبيدة بالمجاز, وكذا يبرز المسائل الّتي عني بشرحها وتفصيلها مستشهداً على ما فيها من كتاب الله تعالى.

ولعل أهمّ المسائل البلاغيّة الّتي أشار إليها أبو عبيدة في "مجاز القرآن" ما يلي:

الكناية[2]، والتّشبيه[3]، والتّمثيل[4]، وخروج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ[5]، وجعل ما للمفعول للفاعل[6]، والمجاز المرسل[7]، والتّكرار للتّوكيد[8]، وإيجاز الحذف[9]، وتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر[10].

وهكذا فكتاب أبي عبيدة أوّل دراسة لغويّة بلاغيّة للقرآن الكريم, وهو بمثابة المرجع الأساس لكثيرٍ ممّا تلاه من الدِّراسات.[11]

ب. الفرّاء وكتابه: "معاني القرآن":

هو أبو زكريا، يحيى بن زياد الملّقب بالفرّاء، ولد ونشأ بالكوفة، وكان في زمانه إمام المدرسة الكوفيّة، وتوفيّ سنة 207هـــ[12]. وكتابه "معاني القرآن" من أجلِّ مؤلفاته. وقد بدأه بمقدّمة قصيرة، ثمّ تناول سور القرآن الكريم سورة سورة. وعرض بالشّرح والبيان لآيات كلّ سورة، مبيّناً القراءات، مظهراً غريب الألفاظ، مخرّجاً المسائل النّحوية، مستدّلاً على آرائه بالآيات القرآنيّة, والأحاديث النبويّة, والشّواهد الشعريّة، وكلام الفصحاء من العرب.

---

[1] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:18-19.

[2] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:128.

[3] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:73.

[4] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:269.

[5] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:231.

[6] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:63.

[7] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:186.

[8] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:12.

[9] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:47.

[10] - انظر : (مجاز القرآن) ، أبو عبيدة, 1:11.

[11] - انظر: (أثر القرآن في تطوّر النّقد العربيّ)، د. محمّد زغلول سلّام، ص 41.

[12] - انظر: ترجمته في: (تاريخ بغداد)، البغداديّ، 16: 224-230. و(إنباه الرّواة على أنباه النّحاة)، القفطيّ، 4: 8-23. و(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان)، ابن خلّكان، 6: 176-182. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 10: 118-121.

وكتاب الفرّاء وإن كان نحويّاً لغويّاً فإنّه لم يخل من المسائل البلاغيّة؛ فقد تحدث عن التّشبيه[1]، والكناية[2]، وخروج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ[3]، والمجاز العقليّ[4]، والتّكرار[5]، والمجاز المرسل[6].

كما أشار إلى التّقديم والتّأخير، والحذف، والانتقال من مخاطبة الشّاهد إلى الغائب وهو ما استقرّ عند البلاغيين بالالتفات فيما بعد، وأشار إلى البعض الّذي يراد به الكلّ ، والإخبار عن الواحد بالاثنين أو الجمع، واستعمال اللّفظ في معنى الضّدّ.[7]

وعليه فإنَّ كتاب الفرّاء "معاني القرآن" بمثابة الدّراسات الأوّلى الّتي أشارت إلى المسائل البلاغيّة في القرآن الكريم، والّتي كانت الأساس الّذي أقيم عليه بناء بلاغة القرآن الكريم خصوصاً والبلاغة العربيّة عموماً.

كما تجدر الإشارة إلى بعض الجهود الّتي قامت بعد أبي عبيدة والفرّاء، ونتلمّسها في تلك الإشارات عند النّظّام، وتلميذه الجاحظ، وكذا ابن قتيبة، والواسطيّ.

فقد قال النّظام المعتزليّ[8] بالصّرفة، ومعناها أنّ الله صرف العرب عن أن يأتوا بمثل القرآن، وإن كان ذلك مقدوراً لهم؛ لأنّهم كانوا بلغاء بطبيعتهم. وهو يرى أنّ القرآن دليل على صدق النّبوّة؛ لأنّه من عند الله تعالى. ووجه الدّلالة ما فيه من أخبار الغيب الّتي تضمّنها، لامن حيث نظمه وأسلوبه وجودة معانيه وإحكام ألفاظه.

كما تحدّث الجاحظ المعتزليّ[9]، عن نظم القرآن في كتاب له لم يصلنا واسمه "نظم القرآن"، وكان الباقلّانيّ قد أشار إليه[10]. وقد ذكر د. فضل حسن عبّاس أنّه عرض فيه لمفردات القرآن، وبعض أساليب البيان. ولخّص نظرية الإعجاز عند الجاحظ فيما يلي:

---

[1] – انظر : (معاني القرآن) ، الفرّاء ، 3 : 117 .

[2] – انظر : (معاني القرآن) ، الفرّاء ، 3 :16.

[3] – انظر : (معاني القرآن) ، الفرّاء ، 1 : 23 .

[4] – انظر : (معاني القرآن) ، الفرّاء ، 3 : 73.

[5] – انظر : (معاني القرآن) ، الفرّاء ، 3 : 287.

[6] – انظر : (معاني القرآن) ، الفرّاء ، 1 : 231.

[7] – انظر: (البحث البلاغيّ في ظلال القرآن الكريم)، د. الشّحات أبو ستيت، ص27.

[8] – انظر: ترجمته في: (تاريخ بغداد)، البغداديّ، 6: 623. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 10: 541. و(الأعلام)، الزّركليّ، 1: 43.

[9] – انظر: ترجمته في: (تاريخ بغداد)، البغداديّ، 14: 124 –131. و(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان)، ابن خلّكان، 3: 470–475. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 11: 526–530.

[10] – انظر: (إعجاز القرآن)، الباقلّانيّ، ص6.

1. القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، من حيث نظمه ووصفه، الّتي تقوم على إبداع في الإيجاز والتّشبيه والمجاز.
2. القرآن معجز من حيث الصّرفة، ولكنّها تختلف كثيراً عن تلك الّتي ذكرها أستاذه النّظام من قبل. ولذا فهو يردّ عليه في كتابه "نظم القرآن"، فأساس نظرية الإعجاز، وعموم القول فيه بلاغته أوّلاً. أمّا القول بالصّرفة فإنّما تأتي في المرتبة الثّانية، فهو دليل يضاف إلى دليل عجز العرب عن محاكاة القرآن في أسلوبه ونظمه.[1]

وقد ألّف ابن قتيبة السّنّي[2]، مؤلّفه: "تأويل مشكل القرآن"؛ للرّد على الطّاعنين في كتاب الله تعالى، والحاكمين عليه بالتّناقض، وكذا كشف مفترياتهم وزيف كلامهم للنّاس. ويعدّ كتابه رائداً في مجال تبويب المسائل البلاغيّة؛ حيث يحتوي على مقدّمة وسبعة عشر باباً تحدّث في بعض منها عن التّشبيه[3]، والاستعارة[4]، والمجاز[5]، والكناية والتّعريض[6]، ولم يفرد بحثاً خاصاً بإعجاز القرآن وإنّما نلمح في مقدّمته إشارة إلى وجه إعجاز القرآن الكريم عنده حيث قال: الحمد لله الّذي نهج لنا سبل الرّشاد، وهدانا بنور الكتاب... وقطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين؛ وأبانه بعجيب النّظم عن حيل المتكلّفين، وجعله متلّواً لا يُملّ على طول التّلاوة، ومسموعاً لا تمجّه الآذان، وغضّاً لا يخلق على كثرة الرّد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه.[7] وهكذا فإعجاز القرآن عنده يعود إلى تأليفه العجيب ونظمه البديع.

كما ألّف الواسطيّ[8] كتاباً سمّاه "إعجاز القرآن"، غير أنّ هذا الكتاب لم يصلنا. وذكر د. صلاح الخالديّ أنّ عبد القاهر الجرجانيّ قد شرح كتاب الواسطيّ في كتابين؛ أحدهما: مختصر، واسمه "المقتضب في شرح كتاب الواسطيّ"، والثّاني مطّول واسمه: "المعتضد في شرح كتاب الواسطيّ"،

---

[1] – انظر: (إعجاز القرآن الكريم)، د.فضل حسن عبّاس، وسناء فضل عبّاس، ص40.

[2] – انظر: ترجمته في: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان)، ابن خلّكان، 3: 42-44. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 13: 296-302.

[3] – انظر: (تأويل مشكل القرآن)، ابن قتيبة، ص 86-102.

[4] – انظر: (تأويل مشكل القرآن)، ابن قتيبة، ص135-184.

[5] – انظر: (تأويل مشكل القرآن)، ابن قتيبة، ص 103-134.

[6] – انظر: (تأويل مشكل القرآن)، ابن قتيبة، ص356-274.

[7] – انظر: (تأويل مشكل القرآن)، ابن قتيبة، ص3.

[8] – انظر: ترجمته في: (الطّبقات الكبرى)، ابن سعد، 7: 228. و(تاريخ بغداد)، البغداديّ، 4: 590. و(تاريخ دمشق)، ابن عساكر، 56: 239-246.

والشّرحان السّابقان مفقودان، وأصلهما –كتاب الواسطيّ– مفقود أيضاً[1]. وفي نفس د. فضل حسن عبّاس شيء مما نسب لعبد القاهر من وضع شرحين لهذا الكتاب، وقد وصلنا كتابان في الإعجاز لعبد القاهر هما: "دلائل الإعجاز" و "الرّسالة الشّافية"، وليس فيهما إشارة ما لشرح إعجاز الواسطيّ فكيف اختفى الشّرحان معاً؟[2] والسّؤال في موضعه.

الطَّور الثّاني: الرّسائل:

وتمثّله رسالتان؛ إحداهما: رسالة الرّمّانيّ، وهي: " النُّكت في إعجاز القرآن"، والأخرى: رسالة الخطّابيّ، وهي" بيان إعجاز القرآن". وقد حقّقهما الدّكتور محمّد خلف الله أحمد، والدّكتور محمّد زغلول سلام، ونشراها مع رسالة الجرجانيّ "الرّسالة الشّافية" في كتاب واحد عام 1376هـــ- 1956م.

أ. الرّمّانيّ ورسالته: " النُّكت في إعجاز القرآن":

الرّمّانيّ من علماء القرن الرّابع الهجريّ، وهو أبو الحسن، عليّ بن عيسى، ولد عام 296هـــ, وتوفيّ عام 386هـــ فعاش ما يقارب التّسعين عاماً قضاها في حياة علميّة حافلة بالعلم والمعرفة[3]. ومعنى النُّكت اللّطائف والأسرار. وقد أتت رسالته إجابة لسؤال إمَّا أن يكون قد افترض من خلاله سائلاً، وإمَّا أن يكون على سبيل الحقيقة. وأياً كان الأمر فقد كان محور السّؤال:

"سألت –وفّقك الله– عن ذكر النُّكت في إعجاز القرآن دون التّطويل بالحجاج، وأنا أجتهد في بلوغ محبّتك"[4]، وعلى هذا فستكون الإجابة غير طويلة.

وتأتي الإجابة خالية من المقدّمات ببيان وجوه إعجاز القرآن، ويحدّدها في سبع جهات؛ هي:

1. ترك المعارضة، مع توفّر الدّواعي وشدة الحاجة.
2. التّحدّي للكافة.
3. الصّرفة.
4. البلاغة.
5. الأخبار الصّادقة عن الأمور المستقبلة.

---

[1] – انظر: (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبانيّ) د. صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، ص93.

[2] – انظر: (إعجاز القرآن الكريم)، د.فضل حسن عبّاس، وسناء فضل عبّاس، ص41.

[3] – انظر: ترجمته في: (تاريخ العلماء النّحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم)، المعرّي، 1: 30-31. و(تاريخ بغداد)، البغداديّ، 13: 462. و(إنباه الرّواة على أنباه النّحاة)، القفطيّ، 2: 294-296.

[4] – (النُّكت في إعجاز القرآن) ، الرّمّانيّ , ص 75.

6. نقض العادة.
7. قياسه بكل معجزة.

وقد وقف إزاء الوجه الرّابع تحديداً بعد أن عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم مستغرقاً في ذلك معظم أجزاء الرّسالة الّتي بناها على هذا الوجه.

والبيّن أنَّ وجه البلاغة هو الوجه الّذي ارتضاه الرّمّانيّ، وصرف جهده لتوضيحه وبيانه، ثمّ ختم رسالته بالتّحدّث عن الوجوه السّتة الأخرى باختصار.

وما يلحظ على حديث الرّمّانيّ عن البلاغة باعتبارها الوجه المختار لديه أنّه قد تحدَّث فيها حول المسائل التّالية:

1. التّعريف بها:

البلاغة عند الرّمّانيّ ليست في إفهام المعنى وكفى؛ لأنَّه قد يفهم المعنى متكلّمان أحدهما بليغ، والآخر عييّ. وليست البلاغة – أيضاً– بتحقيق اللّفظ على المعنى؛ لأنَّه قد يتحقّق اللّفظ على المعنى، وهو غثٌّ مستكره ونافرٌ متكلّف، وإنَّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ.[1]

وما يراه أ.د محمّد أبو موسى أنَّ هذا التعريف ليس تعريفاً للبلاغة، وإنّما هو تعريف للكلام البليغ أي الأدب، وليس تعريفاً للبلاغة الّتي هي مسائل وقواعد تعين على تذوق الكلام وبحث أسراره.[2]

2. طبقاتها:

البلاغة عند الرّمّانيّ على ثلاث طبقات؛ منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة.

ويجعل بلاغة القرآن الكريم في الطّبقة العليا، وبلاغة البلغاء في الوسائط، وأدنى طبقة وهي كلام عامّة النّاس.

3. أقسامها:

وهي عنده عشرة:

1. الإيجاز.
2. التّشبيه.
3. الاستعارة.
4. التّلاؤم.
5. الفواصل.

---

[1] – انظر : (النُّكت في إعجاز القرآن) ، الرّمّانيّ , ص 75.

[2] – انظر : (الإعجاز البلاغيّ – دراسة تحليليّة لتراث أهل العلم) ،أ.د محمّد محمّد أبو موسى , ص88.

6. التّجانس.
7. التّصريف.
8. التّضمين.
9. المبالغة.
10. حسن البيان.

وقد وقف إزاء هذه الأقسام قسماً قسماً معرِّفاً مبيِّناً محلّلاً مستحضراً للشّواهد القرآنيّة.

والمأخذ الّذي أخذه العلماء على الرّمّانيّ هو جعله الصّرفة أحد وجوه الإعجاز؛ لأنّ هذا يتناقض مع الوجه البلاغيّ الّذي اعتمده.[1]

إنّ العرض الموجز السّابق يظهر الدّور الرّائد الّذي قام به الرّمّانيّ في رسالته "النُّكت في إعجاز القرآن"؛ فقد تطرّق للكثير من المصطلحات البلاغيّة, وعرض لها, وفسَّرها, وحلّلها, وأبان عنها بشواهد من كتاب الله العظيم. والجدير بالذّكر أنّ الكثير من الخطرات الّتي ذكرها قد أفاد منها من أتى بعده من علماء البلاغة, وعليه فهذه الرّسالة تعدّ أحد مصادر الدّرس البلاغيّ لإعجاز القرآن الكريم, وكذا الدّرس البلاغيّ عموماً.

ب. الخطّابيّ ورسالته :" بيان إعجاز القرآن":

الخطّابيّ, هو أبو سليمان، حمد بن محمّد، الإمام اللّغويّ المحدِّث الفقيه، ألَّف رسالته: "بيان إعجاز القرآن"، ولد في سبت سنة 319هـــ، وتوفيّ سنة 388هـــ عن عمر قارب السّبعين عاماً.[2]

وقد قسَّم الخطّابيّ الكلام البليغ الفاضل المحمود ثلاثة أقسام:

1. البليغ الرّصين الجزل، وهو أعلى طبقات الكلام.
2. الفصيح القريب السّهل، وهو أوسط طبقات الكلام.
3. الجائز الطّلق الرّسل، وهو أدنى وأقرب طبقات الكلام.

و بيَّن أنّ بلاغات القرآن حازت من كل قسم حصّة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط يجمع بين صفتيّ الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد كالمتضادّين؛ لأنّ العذوبة نتاج السّهولة، والجزالة والمتانة تعالجان نوعاً من الوعورة فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كلّ واحد منهما على الآخر فضيلة خصّ بها القرآن.[3]

---

[1] – انظر: (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبّانيّ) , د. صلاح الخالديّ, ص87.

[2] – انظر: ترجمته في: (إنباه الرّواة على أنباه النّحاة) القفطيّ, 1: 160. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان)، ابن خلّكان، 2: 214-216. و(طبقات الشّافعيّة الكبرى)، السّبكيّ, 3: 282-285.

[3] – انظر: (بيان إعجاز القرآن) ،الخطّابيّ, ص 26.

وقد لحظ د. صبّاح عبيد دراز أنَّ هذا التّقسيم فيه تسامحٌ؛ فالقسم الثّاني والثّالث متداخلان. كما أنَّ هناك تسامحاً في حكمه بتعانق الجزالة والسّهولة في الأساليب القرآنيّة.[1]

ثمّ بيَّن أنَّ الكلام البليغ يقوم على ثلاثة أشياء:

1. لفظ حامل.
2. معنى به قائم.
3. رباط لهما ناظم.

وقال: "إنَّ القرآن إنَّما صار معجزاً؛ لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التّأليف، مضّمناً أصحّ المعاني"[2]. وهذه من توفيقات الخطّابيّ, ومن أخطر ما توصل إليه في قضية الإعجاز.

والبيّن أنَّ قوام الكلام البليغ عند الخطّابيّ سيظهر بعد ذلك بصورة جليّة عند الإمام عبد القاهر الجرجانيّ الّذي وضع نظرية النّظم، "ولقد سبق الخطّابيُّ الجرجانيَّ في القول بالنّظم، ولكن كان للجرجانيّ فضل التّفصيل والبيان والشّرح"[3].

وقد تصدَّى الخطّابيّ لمزاعم الطّاعنين في القرآن الكريم, واستغرقت من الرّسالة ثلاثة وثلاثين صفحة؛ فقد عرضها، ثمّ أخذ في الردّ عليها، وتفنيدها مدعّماً بالأدّلة والحجج. وأهمّ تلك المزاعم:

قلّة الغريب في ألفاظ القرآن الكريم[4]، واستعمال بعض الألفاظ والأوّلى استعمال غيرها[5]، وسوء التّأليف[6]، و الحذف و الاختصار[7]، والتّكرار.[8]

وأنهى الخطّابيّ رسالته بإشارته إلى أثر القرآن في النّفوس؛ فقال: "وقلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه النّاس، فلا يكاد يعرفه إلا الشّاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النّفوس؛ فإنَّك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السّمع خلص له إلى القلب من اللّذة

---

[1] – انظر: (البلاغة القرآنيّة عند الإمام الخطّابيّ)، د.صبّاح عبيد دراز, ص 15 .

[2] – (بيان إعجاز القرآن),الخطّابيّ، ص 27.

[3] – (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبّانيّ)، د. صلاح الخالديّ، ص 90.

[4] – انظر: (بيان إعجاز القرآن), الخطّابيّ، ص37.

[5] – انظر: (بيان إعجاز القرآن),الخطّابيّ، ص 37-38، و41-45.

[6] – انظر: (بيان إعجاز القرآن),الخطّابيّ، ص 39، و49-51.

[7] – انظر: (بيان إعجاز القرآن),الخطّابيّ، ص 39-40، و51-52.

[8] – انظر: (بيان إعجاز القرآن),الخطّابيّ، ص 52-54.

والحلاوة في حال، ومن الرّوعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه. تستبشر به النّفوس، وتنشرح له الصّدور، حتّى إذا أخذت حظّها منه عادت مرتاعة، قد عراها الوجيب القلق، وتغشّاها الموت والفرق، تقشعرّ منه الجلود، وتترعج له القلوب، يحول بين النّفس وبين مضمراتها وعقائدها الرّاسخة فيها"[1].

ورسالة الخطّابيّ وإن كانت تدور حول إعجاز القرآن الكريم فإنّها عنت أكثر بالوقوف إزاء مزاعم الطّاعنين والردّ عليهم, وكذا انصرفت إلى الكشف عن إعجاز القرآن, وبيان كيفيّته غير مكثرة من توضيح المسائل البلاغيّة كصنيع الرّمّانيّ.

الطَّور الثّالث: الكتب:

ويمثّله كتاب "إعجاز القرآن" للباقلّانيّ, وكتاب "المغني في أبواب التّوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبّار الهمذانيّ، وكتاب "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجانيّ, وتفسير "الكشّاف" للإمام الزّمخشريّ.

أ. **الباقلّانيّ وكتابه :" إعجاز القرآن":**

الباقلّانيّ, هو القاضي أبو بكر, محمّد بن الطّيب، متكلّم، أشعريّ، ولد في البصرة سنة 338هـ، وتوفيّ سنة 403هـ[2]. وكتابه "إعجاز القرآن" مشهور، وهو مطبوع طبعة محققّة بتحقيق السيّد أحمد صقر.

وقد نبّه الباقلّانيّ إلى أهمية دراسة مسألة الإعجاز؛ لأنّها أصل الدّين وقاعدة التّوحيد.[3] والكتاب مبنيّ على مقدّمة وثمانية عشر فصلاً وخاتمة, وقد عقد بعد المقدّمة فصلين قبل الفصل الّذي تكلّم فيه عن وجوه إعجاز القرآن.

وكان الفصل الأوّل في بيان أنّ نبوّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم معجزتها القرآن الكريم.

و الثّاني في بيان وجه الدّلالة على أنّ القرآن معجز.

و الثّالث في جملة وجوه إعجاز القرآن.

والوجه الأوّل عنده: اتجه بحثه فيه إلى جملة القرآن فهو يرى أنّ القرآن فاجأ البيان المعروف عند القوم بهذه الهيأة العامّة الّتي جاء عليها[4].

---

[1] - (بيان إعجاز القرآن), الخطّابيّ, ص 70 .

[2] - انظر: ترجمته في: (تاريخ بغداد)، البغداديّ، 3: 364-368. و(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان)، ابن خلّكان، 4: 269-270. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 17: 190-193.

[1]- انظر: (الإعجاز البلاغيّ) , أ.د محمّد محمّد أبو موسى , ص68.

[4]- انظر: (الإعجاز البلاغيّ) , أ.د محمّد محمّد أبو موسى , ص 190.

يقول الباقلّانيّ: "وذلك أنّ نظم القرآن على تصرّف وجوهه، وتباين مذاهبه – خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به، ويتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد"[1]. وأعقب هذا الوجه بأمرين، ومنح لكل منهما بحثاً مستقلاً في كتابه؛ فخروج القرآن عن أصناف كلام العرب المعروفة عندهم يعني فيما يعني أنّه ليس شعراً، وليس سجعاً؛ لأنّ هذين صنفان من أصناف كلامهم.

وعليه فقد عقد فصلاً ينفي فيه أن يكون القرآن شعراً، وفصلاً آخر ينفي فيه أن يكون سجعاً.

والوجه الثّاني: " أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة و الغرابة، والتّصرف البديع، والمعاني اللّطيفة، و الفوائد الغزيرة، و الحكم الكثيرة، و التّناسب في البلاغة، و التّشابه في البراعة على هذا الطول، و على هذا القدر"[2].

وهذا يعني أنّ القرآن الكريم على كثرته وطوله فهو متناسب في الفصاحة، لا يقع فيه تفاوت, ولا يبين عليه اختلال.

والوجه الثّالث: وهو أنّ عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرّف إليه من الوجوه الّتي يتصرف فيها، فيما نجد كلام البشر يختلف على حسب اختلاف الأمور الّتي يعرضون لها، أمّا القرآن فهو على حدّ واحد، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المترلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرّتبة الدنيا[3]. وهو ما عبّر عنه أ.د. محمّد أبو موسى بخلوّ القرآن خلوّاً تاماً من خصائص البيان البشريّ [4].

والوجه الرّابع: وهو أنّ القرآن على اختلاف فنونه وما يتصرّف فيه من الوجوه الكثيرة والطّرق المختلفة – يجعل المختلف كالمؤتلف، و المتباين كالمتناسب، و المتنافر في الأفراد إلى حدّ الآحاد[5]. من غير أن يبين عليه إعياء الخروج والتّنقل، أو يظهر على خطابه آثار التّكلّف والتّعمّل[6]. وهو ما عبّر عنه أ.د محمّد أبو موسى بأنّه من باب دمج المعاني المتنوّعة و المختلفة، و إفراغها إفراغاً واحداً حتّى يرى الكلام الّذي يتضمّن هذه المعاني المتنوعة والمختلفة وهو كلام واحد محكم أحكم سبكه أو أتقن تلاحمه، ينتقل بك من معنى إلى معنى، ويستأنف باباً بعد باب وهو على حدّ واحد من الاستواء و التّحدّر.

1- (إعجاز القرآن) ، الباقلّانيّ ، ص35.

2- (إعجاز القرآن) ، الباقلّانيّ ، ص36.

3- انظر : (إعجاز القرآن) ،الباقلّانيّ, ص36 - 37 .

4- انظر : (الإعجاز البلاغيّ),أ.د محمّد محمّد أبو موسى ، ص 205 .

5- انظر : (إعجاز القرآن) ، الباقلّانيّ , ص38.

6- انظر : (إعجاز القرآن) ،الباقلّانيّ, ص 191 .

ويرى أنَّ هذا الوجه من أهمّ الوجوه عند الباقلّانيّ؛ لأنَّه كان أظهرها حضوراً وهو يعالج تحليل الآيات[1] .

والوجه الخامس: أنَّ القرآن أعجز الجنّ كما أعجز الإنس، أي أنَّه: "يخرج عن عادة كلام الجنّ كما يخرج عن عادة كلام الإنس؛ فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا"[2] .

والوجه السّادس: أنَّ وجوه البلاغة الّتي توجد في كلام النّاس قائمة في كلام الله على الوجه الّذي ينقض العادة ويبلغ فوق الغاية. قال الباقلّانيّ: "إنَّ الّذي ينقسم عليه الخطاب, من البسط, والاقتصار، والجمع، والتّفريق، والاستعارة، والتّصريح، والتّجوّز، والتّحقيق، ونحو ذلك من الوجوه الّتي توجد في كلامهم – موجودة في القرآن، وكلّ ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة"[3] .

وكلام الباقلّانيّ أشمل وأكشف – على وجازته- من كلام الرّمّانيّ؛ وذلك من جهة أنَّ الرّمّانيّ حصر الوجوه في عشرة. ومنها مالا يكثر ولا يتّسع ولا تظهر فيه البراعة. والباقلّانيّ لم يحدّد هذه الفنون، وإنَّما قال: "ونحو ذلك من الوجوه الّتي توجد في كلامهم".

والوجه السّابع: يدور حول جودة العبارة القرآنية، واستوائها، واطّراد فصاحتها، وتفوّقها فيما تناولت من معانٍ جديدة[4] . يقول الباقلّانيّ: "وهو أنَّ المعاني الّتي تضمّنها في أصل وضع الشّريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدّين، و الردّ على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضاً في اللّطف و البراعة، مما يتعذّر على البشر و يمتنع، وذلك أنَّه قد علم أنَّ تخيّر الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدّائرة بين النّاس، أسهل وأقرب من تخيّر الألفاظ لمعانٍ مبتكرة وأسباب مؤسّسة مستحدثة"[5] .

فقد أتى القرآن الكريم بمعانٍ مبتكرة، و عبّر عن تلك المعاني بألفاظ تلائمها في الابتكار؛ فالألفاظ تناسب المعاني، و هذا يخالف ما عرف عن العرب الّذين كانوا يعبّرون عن المعاني المبتكرة بألفاظ متخيّرة.

---

[1] انظر : (الإعجاز البلاغيّ) ،أ.د محمّد محمّد أبو موسى, ص 208.

[2] (إعجاز القرآن) ، الباقلّانيّ , ص38.

[3] (إعجاز القرآن) ، الباقلّانيّ ، ص42.

[4] انظر : (الإعجاز البلاغيّ) ،أ.د محمّد محمّد أبوموسى،ص223.

[5] (إعجاز القرآن) ، الباقلّانيّ, ص42.

والوجه الثّامن: "أنّ الكلام يتبيّن فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوّف إليها النّفوس، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائر ما تقرن به كالدّرة الّتي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد. وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرّة جميعه، وواسطة عقده، والمنادى على نفسه، بتميّزه وتخصّصه، برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه"[1].

والوجه التّاسع: حروف المعجم الّتي بدأت بها السّور.

والوجه العاشر: خلوصه ممّا لا ينفك عنه كلام الناس، وذلك هو "التّلوّن والاختلاف". وهذا التّلوّن والاختلاف مرجعه إلى عدم استواء الكلام على مدرجة واحدة وضرب واحد من حيث الفصاحة والسّهولة، وعذوبة الألفاظ، وقربها، وسخاؤها، ووضوحها، وتساوق النّغم، وتتابعه على النّظام الّذي نراه في المصحف لا يطّرد على هذا الحدّ في كلام البشر[2].

وعبارة الباقلّانيّ: "ومعنى عاشر: وهو أنَّه سهّل سبيله، فهو خارج عن الوحشيّ المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصّنعة المتكلّفة. وجعله قريباً إلى الأفهام، يبادر معناه لفظَه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارتَه إلى النّفس، و هو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مُطْمِع مع قربه في نفسه، ولامُوهِم مع دنوّه في موقعه أن يُقدر عليه, أو يُظفر به" [3].

ولا يرتضي الباقلّانيّ أن يكون السبيل "إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع...؛ وذلك لأنَّ هذا الفنّ ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتّعلم والتّدرب به، والتّصنع له"[4].

وغاية الأمر: عناية الباقلّانيّ الباهرة بإظهار إعجاز القرآن, وعرضه لكثير من فنون البلاغة بالتّفصيل مستنداً على شواهد من القرآن الكريم, غير أنَّ هذه الوجوه عنده ليست هي المعجزة, ولا يؤخذ منها الإعجاز وإنَّما هي دالّة عليه.

والبديع هنا يشمل كلّ المباحث والفنون البلاغيّة، أي أنَّه يضمّ مباحث علوم البلاغة الثّلاثة والّتي لم تكن قد تحدّدت وتمايزت واستقلّت، وهي البيان، والمعاني، والبديع, وهو بذلك يرى أنَّ الإعجاز شيء آخر غير وجوه البلاغة, وأنّه أمر مختصّ بالقرآن ولا يوجد في كلام البشر.

ب. الهمذانيّ وكتابه: " المغني في أبواب التّوحيد والعدل":

1- (إعجاز القرآن) ،الباقلّانيّ, ص42-43.

2- انظر: (الإعجاز البلاغيّ)، أ.د محمّد محمّد أبو موسى، ص236-237.

3- (إعجاز القرآن) ،الباقلّانيّ, ص 46.

4- (إعجاز القرآن) ،الباقلّانيّ, ص168.

الهمذانيّ، هو عبد الجبّار بن أحمد الأسدأبادي، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، توفيّ عام415هـ[1]. له آثار قيمة، منها كتابه العظيم: "المغني في أبواب التّوحيد والعدل" والّذي خصّ معظم الجزء السّادس عشر منه للحديث عن إعجاز القرآن الكريم.

وكان مما عرض له في كتابه بيان معنى كلمة "إعجاز"، وأنّ معنى قولنا في القرآن أنّه معجز أنّه يتعذّر على المتقدّمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الّذي اختصّ به.[2]

كما تحدّث عن الفصاحة وأنّها لا تظهر في الكلمات المفردة، وإنّما بضمّ الكلمات بعضها لبعض. وحدّد جهات ثلاث تبين بها فصاحة الكلام، وهي:

الأولى: اختيار الكلمة نفسها.

الثّانية: حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب.

الثّالثة: موقع هذه الكلمة تقديماً أو تأخيراً، وتعريفاً أو تنكيراً. إلى غيرها من الأساليب.[3]

وحكم على القول بالصّرفة بأنّها لا تصلح أن تكون وجهاً من وجوه الإعجاز، وقد توسّع عند الحديث في هذه المسألة، وعرض الشّبهات الّتي يمكن أن ترد في هذا الأمر.[4]

كما حكم على الإخبار عن الغيب بأنّه لا يصلح وجهاً من وجوه الإعجاز؛ لأنّ التّحدي كان لسورة من سور القرآن، وكثير من هذه السّور ليس فيها شيء من أخبار الغيب.[5]

وقد ذكر د. فضل حسن عبّاس أنّ الفصاحة الّتي قال بها القاضي عبد الجبّار لا تخرج عن النّظم الّذي قال به الخطّابيّ وعبد القاهر.[6]

ج. الجرجانيّ وكتابه: "دلائل الإعجاز":

الجرجانيّ، هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد، متكلّم أشعريّ، ولد ونشأ في جرجان، وتوفيّ سنة 471هـ بعد أن برع في علوم اللّغة والنّحو، وتصدّر مجالس العلم، وقصده

1- انظر: ترجمته في: (سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 17: 244-245. و(طبقات الشّافعيّة الكبرى)، السّبكيّ، 5: 97-98. و(الأعلام)، الزّركليّ، 3: 273-274.

2 - انظر: (المغني)، الهمذانيّ، 16: 226.

3 - انظر: (المغني)، الهمذانيّ ، 16: 199.

4 - انظر: (المغني)، الهمذانيّ ، 16: 220.

5 - انظر: (المغني)، الهمذانيّ ، 6: 220.

6 - انظر: (إعجاز القرآن الكريم)، د. فضل حسن عبّاس، وسناء فضل عبّاس، ص 64.

الطّلاب من شتّى الأقطار[1]. ويعدّ إمام البلاغيين وشيخ البلاغة من خلال كتابيه "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" اللّذين وضع فيهما أهمّ مباحث البلاغة العربيّة.

وسنقف إزاء كتابه: "دلائل الإعجاز"؛ لأنّه وثيق الصّلة بإعجاز القرآن الكريم البلاغيّ؛ فقد وضع فيه نظريته في النّظم, وهو أساس الإعجاز عنده.

وقد عقد فيه فصلاً ضمّنه رأيه في إعجاز القرآن الكريم؛ وبيّن فيه أنَّ الوصف الّذي وقع به الإعجاز هو: نظم القرآن العجيب، وتأليفه البديع، على نمط لم يعهد عند العرب، ولم يستطيعوا الإتيان بمثله وهم فرسان البلاغة وشيوخ الفصاحة. وقد اهتدى إلى هذا الرأي بعد أن قلّب النّظر في الوجوه الّتي يظن أنَّ إعجاز القرآن فيها؛ يقول: "إنّكم تتلون قول الله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2],وقوله سبحانه:﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[3], وقوله:﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[4],

فقولوا الآن: أيجوز أن يكون الله تعالى قد أمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم بأن يتحدّى العرب إلى أن يعارضوا القرآن بمثله، من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الّذي إذا أتوا بكلام على ذلك الوصف، كانوا قد أتوا بمثله؟

ولا بدّ من لا؛ لأنَّهم إن قالوا: يجوز, أبطلوا التحدّي, من حيث إنّ التحدّي , كما لا يخفى, مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصفٍ, ولا تصحّ المطالبة بالإتيان به على وصف من غير أن يكون ذلك الوصف معلوماً للمطالب، ويبطل بذلك دعوى الإعجاز أيضاً؛ وذلك لأنَّه لا يتصوّر أن يقال: إنّه كان عجزٌ, حتّى يثبت معجوز عنه معلوم. فلا يقوم في عقل عاقل أن يقول لخصم له: "قد أعجزك أن تفعل مثل فعلي", وهو لا يشير له إلى وصف يعلمه في فعله, ويراه قد وقع عليه.

أفلا ترى أنّه لو قال رجل لآخر: "إنّي قد أحدثت في خاتمٍ عملته صنعةً أنت لا تستطيع مثلها", لم تتّجه له عليه حجّته, ولم يثبت به أنّه قد أتى بما يعجزه, إلا من بعد أن يريه الخاتم, ويشير له إلى ما زعم أنّه أبدعه فيه من الصّنعة؛ لأنّه لا يصحّ وصف الإنسان بأنّه قد عجز عن شيء, حتّى يريد ذلك الشّيء ويقصد إليه ثمّ لا يتأتّى له. وليس يتصوّر أن يقصد إلى شيء لا يعلمه, وأن تكون منه إِرادة لأمرٍ لم يعلمه في جملةٍ ولا تفصيلٍ.

---

[1] – انظر: ترجمته في: (إنباه الرّواة على أنباه النّحاة)، القفطيّ، 2: 188–190. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 18: 432–433. و(طبقات الشّافعيّة الكبرى)، السّبكيّ، 5: 149–150.

[2] – الإسراء : 88.

[3] – هود : 13.

[4] – البقرة : 23.

ثمّ إنّ هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدّد بالقرآن، وأمراً لم يوجد في غيره، و لم يعرف قبل نزوله.

وإذا كان كذلك، فقد وجب أن يعلم أنَّه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة؛ لأنّ تقدير كونه فيها يؤدِّي إلى المحال، وهو أن تكون الألفاظ المفردة الّتي هي أوضاع اللُّغة، قد حدث في مذاقة حروفها وأصدائها أوصاف لم لتكن, لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختّصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السّامعون عليها إذا كانت متلوَّة في القرآن، لا يجدون لها تلك الهيئات والصّفات خارج القرآن"[1].

والحقّ مع عبد القاهر في ذلك؛ فالألفاظ القرآنيّة هي الألفاظ العربيّة، الّتي يستعملها العرب، ويعبّرون بها عمّا في نفوسهم، و لم يجدّد القرآن في هذ الجانب شيئاً[2].

"ولا يجوز أن تكون في معاني الكلم المفردة، الّتي هي لها بوضع اللُّغة؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى أن يكون قد تجدّد في معنى الحمّد والربّ، ومعنى العالمين والملك واليوم والدّين وهكذا, وصفٌ لم يكن قبل نزول القرآن. وهذا ما لو كان ههنا شيء أبعد من المحال وأشنع لكان إياه.

ولا يجوز أن يكون هذا الوصف في ترتيب الحركات والسّكنات، حتّى كأنّهم قد تُحُدّوا إلى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليه في زنة كلمات القرآن.....

وكذلك الحكم إن زعم زاعم أنّ الوصف الّذي تُحُدّوا إليه هو أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع, وفواصل، كالّذي تراه في القرآن الكريم؛ لأنّه — أيضاً - ليس بأكثر من التّعويل على مراعاة وزنٍ. وإنَّما الفواصل في الآي كالقوافي في الشّعر، وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التّحدّي إلّا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي لم يعوزهم ذلك, و لم يتعذّر عليهم...

ولا يجوز أن يكون الإعجاز بأن لم يلتقِ في حروفه ما يثقل على اللّسان.

وجملة الأمر أنّه لن يعرض هذا وشبهه من الظّنون لمن يعرض له إلّا من سوء المعرفة بهذا الشّأن, أو للخذلان, أو لشهوة الإغراب في القول, ومن هذا الّذي يرضى من نفسه أن يزعم أنَّ البرهان الّذي بان لهم, والأمر الّذي بهرهم, والهيبة الّتي ملأت صدورهم, والرّوعة الّتي دخلت عليهم فأزعجتهم حتّى قالوا: إنَّ له حلاوة, وإنَّ عليه لطلاوة ...-إنّما كان لشيء راعهم من مواقع حركاته, ومن ترتيبٍ بينها وبين سكناته؟ أم لفواصل في آخر آياته؟ من أين تليق هذه الصّفة وهذا التّشبيه بذلك؟...

---

[1] - (دلائل الإعجاز)،الجرجانيّ, ص385-386.

[2] - انظر: (الإعجاز القرآنيّ — وجوهه و أسراره) ، د.عبدالغني محمّد سعد بركة ، ص 186.

وينبغي أن تكون موازنتهم بين بعض الآي وبين ما قاله النّاس في معناها, كموازنتهم بين قوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[1]، وبين "قتلُ البعض إحياء للجميع"؛ خطأ منهم؛ لأناّ لا نعلم لحديث التّحريك والتّسكين وحديث الفاصلة مذهباً في هذه الموازنة، ولا نعلمهم أرادوا غير ما يريده النّاس إذا وازنوا بين كلام وكلامٍ في الفصاحة والبلاغة، ودقة النّظم، وزيادة الفائدة....

فإذا بطل أن يكون الوصف الّذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عدّدناه، لم يبق إلا أن يكون في النّظم؛ لأنَّه ليس من بعد ما أبطلنا أن يكون فيه إلا النّظم والاستعارة.

ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز، وأن يقصر عليها؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة، وفي مواضع من السّور الطّوال المخصوصة, وإذا امتنع ذلك فيها, ثبت أنَّ النّظم مكانه الّذي ينبغي يكون فيه وإذا ثبت أنَّه في النّظم والتّأليف, وكنّا قد علمنا أن ليس النّظم شيئاً غير توخّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم, وأنّا إن بقينا الدّهر نجهد أفكارنا حتّى نعلم للكلم المفردة سلكاً ينظمها, وجامعاً يجمع شملها ويؤلّفها, ويجعل بعضها بسببٍ من بعض, غيرَ توخي معاني النحو وأحكامه فيها , طلبنا ما كلّ محال دونه"[2].

وهكذا يصل عبد القاهر إلى ما يريد، وهو أنّ بلاغة القرآن في نظمه. وقد اهتدى إلى هذا الرأي بعد أن عرض كلّ الوجوه الممكنة وردّها كما هو بيّن في النّص الطّويل السّابق الّذي تمّ نقله. فلم يبقَ إلّا القول بإعجاز القرآن بنظمه. على أنّه يقلب الفكرة مرات أخرى؛ لينفي أيّ شكّ حولها، ويبدّد أي غموض فيها. فيذكّرنا بأنّ المزيَّة الّتي يعود إليها تقدّم كلام على كلام في البلاغة إنّما تدرك بالفكر، ويتوصّل إليها بإعمال النّظر وبذل الجهد، وليس في الكلمات المفردة ما يدرك ويستنبط بالرويّة والجهد، إنّها إرث مشاع، لكلّ قائل أن يأخذ منها ما يحقّق غرضه.[3]

"ومن ههنا لم يجز, إذا عُدَّ الوجوه الّتي تظهر بها المزيّة, أن يُعدَّ فيها الإعراب وذلك أنَّ العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلّهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالرّويّة، فليس أحدهم- بأنَّ إعراب الفاعل الرّفع، أو المفعول النصب, والمضاف اليه الجرّ بأعلم من غيره" [4]

"ومن ثمّ لا يجوز لنا أن نعتدَّ في شأننا هذا بأن يكون المتكلّم قد استعمل من اللُّغتين في الشّيء ما يقال إنَّه أفصحهما، أو بأن يكون قد تحفَّظ مما تخطئ فيه العامة، ولا بأن يكون قد استعمل الغريب؛

---

[1] - البقرة : 179.

[2] - (دلائل الإعجاز),الجرجانيّ , ص386-392.

[3] - انظر: (الإعجاز القرآنيّ), د.عبد الغني محمّد سعد بركة, ص188.

[4] - (دلائل الإعجاز), الجرجانيّ , ص395.

لأنَّ العلم بجميع ذلك لا يعدو أن يكون علماً باللّغة، وبأنفس الكلم المفردة، وبما طريقه طريق الحفظ، دون ما يستعان عليه بالنّظر, ويوصل إليه بإعمال الفكر"[1] .

"ومن العجب أنَّا إذا نظرنا في الإعراب, وجدنا التّفاضل فيه محالاً؛ لأنَّه لا يتصوَّر أن يكون للرّفع والنّصب في كلامٍ مزيةٌ عليهما في كلام آخر، وإنَّما الّذي يُتصوّر أن يكون ههنا: كلامان قد وقع في إعرابهما خلل، ثمّ كان أحدهما أكثر صواباً من الآخر، وكلامان قد استمرّ أحدهما على الصّواب و لم يستمرّ الآخر، ولا يكون هذا تفاضلاً في الإعراب، ولكن تركاً له في شيء، واستعمالاً له في آخر"[2].

"قد علمنا علماً لا تعترض معه شبهة: أنَّ الفصاحة فيما نحن فيه, عبارةٌ عن مزيّة هي بالمتكلّم دون واضع اللّغة. وإذا كان كذلك, فينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم, هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللّفظ شيئاً ليس هو له في اللّغة, حتّى يجعل ذلك من صنيعه مزيّة يعبّر عنها بالفصاحة؟ وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللّفظ شيئاً أصلاً, ولا أن يحدث فيه وصفاً. كيف؟ وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه, وأبطل أن يكون متكلّماً؛ لأنَّه لا يكون متكلّماً حتّى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه"[3].

وهكذا فيحيل عبد القادر إلى المتكلّم والجهد الّذي يقوم به من حيث طريقة نظم العبارة, وصوغ الفكرة, وبناء الأسلوب بوساطة النّظم الّذي هو توخي معاني النّحو بين الكلم, والّذي تعود إليه مزيّة الكلام وبلاغته وبه تتحقّق. وعليه فقد كان إعجاز القرآن في نظمه.

جــ. الزّمخشريّ وتفسيره:" الكشَّاف":

هو جار الله، محمود بن محمّد، كبير المعتزلة، ولد بزمخشر في خوارزم سنة 467هـــ، وتوفي سنة538هــ[4]، وله مصنّفات عديدة، لم يؤلّف منها مصنّفاً في البلاغة، ولم يدرس قضيّة الإعجاز القرآنيّ

دراسة نظريّة، تضع القواعد، وتؤطّر لحدودها كصنيع غيره من العلماء، وإنّما انصرفت همّته إلى تفسير كتاب الله تعالى تفسيراً يعنى بالجانب التّحليليّ التّطبيقيّ لإعجازه، مبيناً عن دقائق بلاغته في تفسيره الّذي دوّت شهرته وملأت الآفاق، وسمّاه: "الكشَّاف عن حقائق التّزيل". وقد قسَّم فيه البلاغة إلى معانٍ وبيان؛ إذ ذكر في مقدمته أنّه لا يتصدّى لتفسير القرآن الكريم, وكشف حقائقه إلا رجل قد برع في

---

[1] – (دلائل الإعجاز) , الجرجانيّ , ص396.

[2]– (دلائل الإعجاز), الجرجانيّ , ص399-400 .

[3] – (دلائل الإعجاز), الجرجانيّ , ص401-402 .

[4] – انظر: ترجمته في: (إنباه الرّواة على أنباه النّحاة)، القفطيّ، 3: 265-272. و(سير أعلام النّبلاء)، الذّهبيّ، 20: 151-156. و(الأعلام)، الزّركليّ، 7: 178.

علمين مختصين بالقرآن؛ وهما: علم المعاني وعلم البيان. كما أشار في مقدّمته إلى إعجاز القرآن الكريم، وتحدّيه لفصحاء العرب و بلغائهم، وعجزهم عن النّهوض لمقدار أقصر سورة منه، مع كثرتهم و وفرة عددهم, وشدّة حاجتهم إلى المعارضة[1].

ولشيخ البلاغيين أ.د محمّد أبو موسى كتابه: "البلاغة القرآنيّة في تفسير الزّمخشريّ، و أثرها في الدّراسات البلاغيّة" والّذي تتبع فيه الزّمخشريّ تتبعاً دقيقاً في كافة المباحث البلاغيّة الّتي عرض إليها خلال تحليله لسور القرآن الكريم.

ولقد اهتمّ الزّمخشريّ في تفسيره بالمباحث البلاغيّة؛ فتأمّل نظم القرآن، وبحث في أسراره وخصائصه، حتّى ترك لنا ثروة عظيمة في البلاغة التّطبيقيّة في مجال القرآن الكريم، وهو يعدّ امتداداً لعبد القاهر الجرجانيّ؛ إذ طبّق ما جاء في "دلائل الإعجاز", و"أسرار البلاغة" من قواعد، وسار على نهجه في تحليل المسائل البلاغيّة.

الطّور الرّابع: الدّراسات الحديثة:

ويضمّ هذا الطّور كوكبة مميّزة من العلماء والباحثين الّذين نظروا في القرآن الكريم، وكتبوا العشرات من المؤلّفات الّتي تعنى ببيان وجوه الإعجاز القرآنيّ، وسنقف إزاء أشهر من تحدّثوا عن الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم، ويتمثّلون في: مصطفى صادق الرّافعيّ في كتابه: "إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة", وسيّد قطب في كتابه: "التّصوير الفنّيّ في القرآن"، ود.محمّد عبدالله دراز في كتابه: "النّبأ العظيم"، ود.عائشة عبد الرّحمن في كتابها: "الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، ومحمود محمّد شاكر في كتابه: "مداخل إِعجاز القرآن".

أ. الرّافعيّ و كتابه: "إعجاز القرآن و البلاغة النّبويّة":

الرّافعيّ، هو مصطفى صادق، أحد روّاد النّهضة الحديثة، وُلد سنة 1880م، وتوفّيّ سنة 1937م[2]،بعد أن ترك تراثاً ضخماً متعدّد الاتّجاهات، سواء بمئات المقالات الّتي خاض بها معاركه الفكريّة، أم بكتبه, و الّتي منها "إعجاز القرآن و البلاغة النّبويّة" الّذي تصدّى فيه لدراسة قضيّة الإعجاز؛ فعرض جوانبها المتعددة, وأدلى بدلوه، مستفيداً من كل ما ذكر قبله، مضيفاً إليه، وكلّ ذلك في أسلوب أدبيّ رائق يظهر اقتداره على اللّغة، و تمكّنه فيها. وماهيّة الإعجاز عنده تتمثّل في أنّ القرآن معجز بالمعنى الّذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حيث ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن فهو

---

[1] – انظر: (الكشّاف),الزّمخشريّ,1:3 .

[2] – انظر: ترجمته في: (الإعجاز القرآنيّ– وجوهه وأسراره)، د.عبد الغني محمّد سعد بركة، 228. و(الأدب العربيّ المعاصر في مصر)، د.شوقي ضيف، 242–245. و(إعجاز القرآن الكريم)، د.فضل حسن عبّاس، وسناء فضل عبّاس، 89–90.

أمرٌ لا تبلغ منه الفطرة الإنسانيّة مبلغاً، و ليس إلى ذلك مأتى و لا جهة، و إنّما هو أثرٌ كغيره من الآثار الإلهيّة، يشاركها في إعجاز الصّنعة، وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأنّ له مادّة من الألفاظ كأنّها مفرّغة إفراغاً من ذوب تلك الموادّ كلّها[1].

وعليه فالقرآن عنده معجز؛ لأنَّه أثر إلهيّ، وإعجازه ثابتٌ لعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ثمّ يمضي فيذكر أنّ الأسلوب القرآنيّ إنّما "هو مادة الإعجاز العربيّ في كلام العرب كلّه، ليس من ذلك شيء إلّا وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً"[2].

وقد ذكر أبرز الخصائص الّتي انفرد بها الأسلوب القرآنيّ؛ وهي:

أ- التّكرار الّذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف طرق الأداء و أصل المعنى واحد في العبارات المختلفة [3].

ب- أنَّ الأسلوب القرآني مباينٌ بنفسه لكلّ ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم، وتنزيل كلامهم، وعلى أنّه يؤاتي بعضه بعضاً، وتناسب كلّ آية منه كلّ آية أخرى في النّظم والطّريقة, على اختلاف المعاني وتباين الأغراض, سواء في ذلك ما كان مبتدأ به من معانيه وأخباره, وما كان متكرّراً فيه، فكأنَّه قطعة واحدة مع طول القرآن[4].

وهذه الخصيصة التفت إليها قبله الباقلّانيّ, و وقف إزاءها كثيراً، و زيادة الرّافعيّ أنّه "أضاف إليها عمقاً جديداً حين حلّل أسبابها، و جعلها طبيعة لازمة لا تتخلّف؛ لارتباطها العضويّ بالنّقص البشريّ الّذي لا ينفك عنه إنسان"[5].

جـــ- غرابة الأسلوب القرآنيّ في كونه منسجماً لا غرابة فيه؛ فهو يسيل بسهولة، وهذه السّهولة في كثير من الكلام، وكثير من أغراضه تقتضي الابتذال، ولكنّها في القرآن كلّه، وعلى تنوّع أغراضه لا

---

[1] - انظر: (إعجاز القرآن) ، الرّافعيّ ، ص 128 .

[2] - (إعجاز القرآن) ، الرّافعيّ ، ص 152.

[3] - انظر: (إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص156.

[4] - انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص162.

[5] - (الإعجاز القرآنيّ), د.عبد الغني محمّد سعد بركة ,ص239.

تقتضي إلا الإعجاز, إنّها وكأنّها سهولة الأوضاع الإلهيّة، الّتي يعرفها كلّ النّاس، ويعجز عنها كلّ النّاس[1].

د – أنّ الأسلوب القرآني فيه من الّلين والمطاوعة على التّقليب، والمرونة في التّأويل؛ بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة على اختلاف العصور[2].

ثمّ انتقل إلى بيان مظاهر الإعجاز في نظم القرآن؛ فحدّدها في ثلاثة:

المظهر الأوّل: الحروف و أصواتها:

حيث ذكر تكوّن كلمات القرآن من حروف، لو سقط منها حرف أو أبدل بغيره، أو أقحم معه غيره – لكان ذلك خللاً بيّناً, ثمّ إنّ حروف الكلمة مرتّبة باعتبار من أصواتها, ومخارجها, ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعيّة في الهمس والجهر، والشّدّة والرّخاوة، والتّفخيم والتّرقيق، والتّفشّي والتّكرير[3].

المظهر الثّاني: الكلمات وحروفها:

حيث إنّ في كلمات القرآن أصواتاً ثلاثة:

الأوّل: صوت النّفس، وهو الصّوت الموسيقيّ الّذي يكون من تأليف النّغم بالحروف, ومخارجها, وحركاتها, ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة, وعلى نضدٍ متساوٍ.

الثّاني: صوت العقل، وهو الصّوت المعنويّ، الّذي يكون من لطائف التّركيب في جملة الكلام، و من الوجوه البيانيّة الّتي يداور بها المعنى.

الثّالث: صوت الحسّ: وهو أبلغ الأصوات شأناً، لا يكون إلّا من دقّة التّصوّر المعنويّ، والإبداع في تلوين الخطاب[4].

المظهر الثّالث: الجمل و كلماتها:

فالجملة هي مظهر الكلام، وهي الصّورة النّفسية للتّأليف الطبيعيّ، مشيراً إلى أنّه انتظم للقرآن الكريم من جهة تركيبه أسباب الإعجاز من الصّوت في الحرف, إلى الحرف في الكلمة, إلى الكلمة في

---

[1] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص166.

[2] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص165-166.

[3] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص172.

[4] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص176-177.

الجملة, حتّى يكون الأمر مقدّراً على تركيب الحواسّ النّفسيّة في الإنسان تقديراً يطابق وضعها وقواها وتصرّفها, وذلك إيجادٌ خلقيّ لا قِبل للنّاس به, ولم يتهيّأ إلّا في هذه العربيّة عن طريق المعجزة الّتي لا تكون معجزة حتّى تخرق العادة , وتفوّت المألوف[1]. مبيّناً أنَّ طريقة نظم القرآن الكريم تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبارٍ من أصواتها ومخارجها, وفي التّمكين للمعنى بحسّ الكلمة و صفتها, ثمّ الافتنان فيه بوضعها من الكلام, وباستقصاء أجزاء البيان, وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات, لا يتفاوت ذلك ولا يختلّ[2]. منوّهاً بأنّ لكلّ لفظة روحاً في تركيبها من الكلام، وأنّ روح التّركيب هذه لم تعرف قطّ في كلامٍ عربي غير القرآن, وبها انفرد نظمه[3].

ثمّ أفرد فصلاً عن غرابة أوضاع القرآن التّركيبيّة, و هو يرى أنّه أمر دقيق؛ لأنّه شطر الإعجاز في القرآن الكريم: ذلك أنّك حين تنظر في تركيبه لا ترى كيفما أخذت عينك منه إلّا وضعاً غريباً في تأليف الكلمات، وفي مساق العبارة، وبحيث تبادرك غرابته من نفسها و طابعها بما تقطع أنّ هذا الوضع وهذا التّركيب ليس في طبع الإنسان، ولا يمكن أن يتهيّأ له ابتداءً واختراعاً دون تقديره على وضع يشبهه، أو احتذاء لبعض أمثلة تقابله، لا تحتاج في ذلك إلى اعتبار ولا مقايسة، و ليس إلّا أن تنظر فتعلم[4].

وفضلاً عن غرابة تراكيبه فقد أشار إلى غرابة أخرى، وهي غرابة المعاني الإلهيّة الّتي تكسب الكلام غرابة أخرى يحسّ بها طبع المخلوق, و يعتريه لها من الرّوعة ما يعتريه من الفرق بين شيء إلهيّ و شيء إنسانيّ. [5]

ثمّ يختم حديثه بأنّه ليس من شيء يحقّق إعجاز القرآن إلّا من حيث إطالة النّظر في كلّ معنى من معانيه، وفي طبيعة هذا المعنى, ووجه تأديته إلى النّفس، ثمّ تدبّر الألفاظ و المعاني من الحروف والصّيغ الّتي أقيمت عليها اللّغة، ثمّ طريقة النّسق و السّرد في الجملة فإنّ كلّ ذلك في القرآن الكريم على أتمّه, وليس فيه اضطراب أو التواء، وما علوم البلاغة كلّها إلّا بعض الوسائل في التّنبيه إليه .[6]

ب. سيّد قطب وكتابه: "التّصوير الفنّيّ في القرآن":

---

[1] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص188-189.

[2] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص192.

[3] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص194.

[4] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ,ص198.

[5]– انظر : (إعجاز القرآن), الرّافعيّ,ص198 .

[6] – انظر:(إعجاز القرآن),الرّافعيّ, ص205.

قطب، هو سيّد بن قطب بن إبراهيم، مفكرٌ إسلاميّ مصريّ، كتبه كثيرة متداولة[1]. ولم يفرد سيّد قطب كتاباً خاصاً يتضّمن وجوه إعجاز القرآن الكريم لديه، غير أنّه وضع نظراته وآراءه حول ذلك في كتابيه: "التّصوير الفّنيّ في القرآن" و "في ظلال القرآن"، فأمّا الكتاب الأوّل فقد وضع فيه نظرية التّصوير في القرآن الكريم، وكما يقول د. صلاح الخالديّ فهي "نظريّة أصيلة رائدة، تفرّد بها سيّد قطب، وقد اعترف له العلماء والأدباء والنّقاد المعاصرون بهذه الرّيادة، وسجّلوا له هذه الأوّليّة، في اكتشاف وتوضيح هذه النّظريّة البيانيّة القرآنيّة"[2]. فهو يرى أنّ السّحر في القرآن كامنٌ في صميم النّسق القرآنيّ ذاته، لافي الموضوع الّذي يتحدث عنه وحده[3].

ويرى سيّد قطب أنّ التّصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصّورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذّهنيّ، والحالة النّفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النّموذج الإنسانيّ والطّبيعة البشريّة، ثمّ يرتقي بالصّورة الّتي يرسمها؛ فيمنحها الحياة الشّاخصة أو الحركة المتجدّدة، فإذا المعنى الذّهنيّ هيئة وحركة، وإذا الحالة النّفسيّة لوحة أو مشهد، وإذا النّموذج الإنسانيّ شاخص حيّ، وإذا الطّبيعة البشريّة مجسّمة مرئيّة.[4]

كما يرى أن نتوسع في معنى التّصوير؛ فهو تصوير باللّون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السّياق، في إبراز صورة من الصّور، تتملّاها العين والأذن، والحسّ والخيال، والفكر والوجدان.[5]

ويقف إزاء خصائص التّصوير الفنّيّ في القرآن، وهي: التّمثيل الحسّيّ، والتّجسيم الفنّيّ، والتّناسق الفنّيّ، ويعرّف بكلٍ، ويورد الأمثلة عليها محلّلاً موضّحاً؛ على النّحو التّالي:

1. التّخييل الحسّيّ حركة حيّة مما تنبض به الحياة الظّاهرة للعيان أو الحياة المضمرة في الوجدان، ومن ألوانه ما يمكن أن نسميّه "التّشخيص"؛ ويتمثّل في خلع الحياة على الموادّ الجامدة، والظّواهر الطّبيعيّة، والانفعالات الوجدانيّة. ومن ألوانه ما يتمثّل في تلك الصّور المتحرّكة الّتي يعبّر بها عن حالة من الحالات أو معنى من المعاني، ومنه ما يتمثّل في الحركة المتخيّلة الّتي تلقيها في النّفس

---

[1] – انظر: ترجمته في: (الأعلام)، الزّركليّ، 3: 147-148. و(سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد)، د.صلاح الخالديّ، 15- 16.

[2] – انظر: (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبانيّ)، د.صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، ص338.

[3] – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، ص19.

[4] – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، ص34.

[5] – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، ص35.

بعض التعبيرات، ومنه ما يتمثّل في تلك الحركات السّريعة المتتابعة، ومنه ما يتمثّل في الحركة الممنوحة لما من شأنه السّكون.[1]

2. التّجسيم الفنّيّ عند سيّد قطب هو تجسيم المعنويّات المجرّدة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم، ومنه تجسيم المعنويّات، لا على وجه التّشبيه والتّمثيل، بل على وجه التّصيير والتّحويل. وكثيراً ما يجتمع التّخييل والتّجسيم في المثال الواحد من القرآن؛ فيصوّر المعنويّ المجرّد جسماً محسوساً، ويُخيِّل حركة لهذا الجسم أو حوله من إشعاع التّعبير.[2]

3. التّناسق الفنّيّ: وهو عند سيّد قطب ألوان ودرجات:

- منها ذلك التّنسيق في تأليف العبارات، بتخيّر الألفاظ، ثمّ نظمها في نسق خاصّ.
- ومنها ذلك الإيقاع الموسيقيّ النّاشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاصّ.
- ومنها تلك النّكت البلاغيّة الّتي تنبّه لها الكثيرون؛ من التّعقيبات المتّفقة مع السّياق.
- ومنها ذلك التّسلسل المعنويّ بين الأغراض في سياق الآيات، والتّناسب في الانتقال من غرض إلى غرض.
- ولعل أعلى نوع من التّناسق هو هذا التّناسق النّفسيّ بين الخطوات المتدرّجة في بعض النّصوص أو الخطوات النّفسيّة الّتي تصاحبها.[3]

وللتّناسق الفنّيّ في القرآن مظاهر حدّدها سيّد قطب فيما يلي:

- هناك المواضع الّتي يتناسق فيها التّعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسّيّة أو المعنويّة.
- وقد يستقلّ لفظ واحد برسم صورة شاخصة تارة بجرسه، وتارة بظلّه الّذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظّل جميعاً.
- وهناك تلك المقابلات الدّقيقة بين الصّور الّتي ترسمها التّعبيرات.
- وهناك نوع من التّقابل، ولكن لا بين صورتين حاضرتين، بل بين صورتين: إحداهما حاضرة الآن، والأخرى ماضية في الزمان.
- تناسق الإيقاع الموسيقيّ مع الجو (السيّاق).
- التّناسق في رسم الصّورة، ويتمثّل في؛ التّناسق في "وحدة الرسم"، وتوزيع أجزاء الصّورة، واللّون الّذي ترسم به.

---

[1] – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، 65-68.

[2] – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، 63، و68-72.

[3] – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، 74-75.

- التّناسق في الإطار مع الصّورة والمشهد، ثمّ يطلق من حولها الإيقاع الموسيقيّ الّذي يناسب هذا كلّه.
- التّناسق في المدّة المقرّرة لبقاء المشهد معروضاً على الأنظار في الخيال.1

وينهي سيّد قطب حديثه عن التّصوير الفنّيّ في القرآن بقوله: "وهكذا تتكشّف للنّاظر في القرآن آفاق وراء آفاق، من التّناسق والاتّساق: فمن نظم فصيح. إلى سرد عذب. إلى معنى مترابط. إلى نسق متسلسل. إلى لفظ معبّر. إلى تعبير مصوّر. إلى تصوير مشخّص. إلى تخييل مجسّم. إلى موسيقى منغّمة. إلى اتّساق في الأجزاء. إلى تناسق في الإطار. إلى توافق في الموسيقى. إلى تفنّن في الإخراج. وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز."[2]

وهكذا فسيّد قطب يرى أنّ التّصوير الفنّيّ في القرآن هو مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغيّ القرآني.

وأمّا كتابه الثّاني: "في ظلال القرآن" فقد وقف فيه إزاء بعض آيات القرآن الكريم محلّلاً لها تحليلاً بيانيّاً، واضعاً نظراته الخاصّة في كلّ ما يحلّل.

ج. د. دراز و كتابه: "النّبأ العظيم" :

د. دراز، هو محمّد عبد الله، وُلد سنة 1894م، كتب رسالّتين عن "التّعريف بالقرآن", وعن "الأخلاق في القرآن", نال بهما درجة الدكتوراه من فرنسا[3]. وكتابه "النّبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن"، هو مرجعنا الأساس في الوقوف على آرائه في الإعجاز القرآنيّ؛ حيث حدّد فيه معنى القرآن، وبيّن مصدره, ثمّ تحدّث عن البحث في جوهر القرآن الدّال على مصدره الرّبّانيّ، وذكر النّواحي الثّلاث للإعجاز، وهي:

1- الإعجاز الّلغويّ.
2- الإعجاز العلميّ.
3- الإعجاز التّشريعيّ.

ووضّح أنّ القرآن معجزة لغويّة, وأشار إلى نظرتين للقشرة السّطحية للّفظ القرآنّي؛ وهما:

1- الجمال التّوقيعيّ في توزيع حركاته, وسكناته, ومدّاته, وغنّاته.
2- الجمال التّنسيقيّ في رصف حروفه, وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة.

ثمّ نظر في لبّ البيان القرآنيّ و خصائصه الّتي امتاز بها عن سائر الكلام فرتبّها على أربعة جوانب:

---

1 – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، 77-118.

2 – انظر: (التّصوير الفنّيّ في القرآن)، سيّد قطب، 188.

3 – انظر: ترجمته في: (الأعلام)، الزّركليّ، 6: 246. و(النّبأ العظيم)، د.محمّد عبد الله دراز، ص6.

1. القرآن في قطعة قطعة منه:

ووضّح أنّ أسلوب القرآن: "تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلّها، على تباعد ما بين أطرافها"[1], ويمضي في بيان نهايات الفضيلة البيانيّة, والّتي تتمثّل في:

(أ) و (ب) القصد في اللّفظ، و الوفاء بحقّ المعنى.

(جـــ) و (د) خطاب العامّة, و خطاب الخاصّة.

(هـــ) و (و) إقناع العقل, و إمتاع العاطفة.

(ز) و (ح) البيان, و الإجمال.

وأقام تطبيقات على آيات كريمات.

2. القرآن في سورة منه:

وتحدّث فيه عن الوحدات الّتي تتمثّل في سورة كاملة, ثمّ نظر إليها ككلّ يمثّل في مجموعه وحدة مترابطة, وثيقة العرى, وطبقّ نظرته هنا على سورة البقرة؛ حيث عرضها عرضًا واحدًا, رسم به خط سيرها إلى غايتها، وأبرز وحدة نظامها المعنويّ في جملتها؛ لكي نرى كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السّلسلة العظمى[2].

3.القرآن فيما بين بعض السّورة و بعض.

4.القرآن في جملته.

و لم يقف إزاء الخصيصتين الأخيرتين، ولعلّ القدر لم يمهله لإكمالها والحديث عنها.

د. د. عائشة عبد الرّحمن وكتابها: "الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق":

عبد الرّحمن، عائشة- بنت الشّاطئ- الأستاذة الجامعيّة، والباحثة المفكّرة، والكاتبة المصريّة، تُوفّيت عام 1419هـــ[3]. وكانت لديها نظرات في الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم، وقد تجلّى ذلك في إفرادها كتابين لهذه النّظرات، أحدهما تفسيريّ تحليليّ بيانيّ تحت عنوان: "التّفسير البيانيّ في القرآن". وقد أصدرت منه ثلاثة أجزاء. والآخر تنظيريّ تحليليّ، وضعت فيه آراء ونظرات تتّصل بالإعجاز البيانيّ تحت عنوان: "الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، وقد جعلته في ثلاثة مباحث؛ فأمّا المبحث الأوّل فكان في المعجزة، والجدل والتّحديّ، وآيات المعاجزة، ووجوه الإعجاز والبيان القرآنيّ، والبلاغيين والإعجاز. وأمّا المبحث الثّاني فكان في مظاهر الإعجاز البيانيّ كما تراه في فواتح السّور، وسرّ الحروف،

---

[1] – (النّبأ العظيم),د.دراز ,ص108.

[2] – انظر: (النّبأ العظيم) , د.دراز, ص158.

[3] – انظر: ترجمتها في: (بنت الشّاطئ- رحلة في أمواج الحياة)، وفاء الغزاليّ، و(الموسوعة العربيّة العالميّة)،16: 8.

ودلالات الألفاظ، وسرّ الكلمة، والأسلوب وسرّ التّعبير. وأمّا المبحث الثّالث فخصّصته لمسائل نافع بن الأزرق الّتي وجّهها إلى ابن عبّاس –رضي الله عنهما–.

وقد أخذ على بنت الشّاطئ أنّها تحاول أن تنقص من قدر علمائنا السّابقين وتصوّرهم جميعاً صورة مستكرهة منفرّة، ولم تتحدّث بكلمة واحدة تبيّن فيها منزلة هؤلاء الأعلام الأقدمين منهم والمحدثين، بل همزتهم ونالت منهم جميعاً، كما أنّها أهملت ما ذكره السّابقون من الإشادة بفضل من سبقهم. ثمّ إنها لا تدع فرصة تسنح لها إلّا وتنال من الباقلّانيّ وترد عليه.[1]

هـــ. محمود محمّد شاكر وكتابه: "مداخل إعجاز القرآن":

شاكر، محمود بن محمد، أديب لغويٌ محقّق باحث، له مؤلّفات قيّمة، توفيّ عام 1418هـــ[2]. وقد وضع محمود محمّد شاكر كتابه: "مداخل إعجاز القرآن"، وهو مقسّم إلى ثلاثة مداخل كلّ مدخل منها يقصُّ تاريخ إعجاز القرآن, كما نشأت صورته عند الأستاذ شاكر, وكلّ مدخل منها ينظر إلى تاريخ الإعجاز من وجه غير الأوّل, ولكنّها جميعاً تصبُّ في معين واحد ألا وهو تأسيس علم (إعجاز القرآن). وقد نشر المدخلان الثّاني والثّالث منفصلين عن الأوّل, أمَّا الثّالث فقد نشر في كتاب مستقل بعنوان "قضيّة الشّعر الجاهليّ في كتاب ابن سلّام", وأمَّا الثّاني فقد كان مقدمّة لكتاب "الظّاهرة القرآنيّة" لمالك بن نبيّ.

وقد اكتمل المدخلان الثّاني والثّالث أمَّا الأوّل فلم يتمّه؛ إذ وقف عند الفصل العشرين بادئاً فيه، ثمّ لم يكمّله, فإنَّ قضاء الأجل كان قد وافاه قبل أن يكمل المدخل الأوّل.[3]

وخلاصة ما يذهب إليه الأستاذ شاكر في إعجاز القرآن الكريم:

أنَّه لا مناص لمتكلم في إعجاز القرآن من أن يتبيّن حقيقتين عظيمتين قبل النّظر في هذه المسألة, وأن يفصل بينهما فصلاً ظاهراً لا يلتبس, وأن يميّز أوضح التّمييز بين الفجوة الّتي تكون بينهما:

أوّلاهما: أنَّ إعجاز القرآن كما يدلّ عليه لفظه وتاريخه, وهو دليل النبي صلّى الله عليه وسلّم على صدق نبّوته, وعلى أنَّه رسول الله يوحى إليه هذا القرآن, وأنَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم يعرف إعجاز القرآن من الوجه الّذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب, وأنَّ التّحدّي الّذي تضمّنته آيات التّحدّي, إنّما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج من ذلك. فما هو بتحدّ بالإخبار

---

[1] – انظر: (إعجاز القرآن الكريم)، د. فضل حسن عبّاس، وسناء فضل عبّاس، 132-133.

[2] – انظر: ترجمته في: (معجم الأدباء)، الجبوريّ، 6: 195.

[3] – –انظر: (مداخل إعجاز القرآن),محمود محمّد شاكر، ص 5-6 .

بالغيب المكنون, ولا بالغيب الّذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله, ولا بعلم مالا يدركه علم المخاطبين به من العرب ولا بشيء من المعاني مما لا يتّصل بالنّظم والبيان .

ثانيهما: أنَّ إثبات دليل النبوّة, وتصديق دليل الوحي, وأنَّ القرآن تنزيل من عند الله, كما نزلت التّوراة والإنجيل والزّبور وغيرها من كتب الله سبحانه, لا يكون منها شيء يدلّ على أنَّ القرآن معجز. ولا أظن قائلاً يستطيع أن يقول إنَّ التّوراة والإنجيل والزّبور كتب معجزة, بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن, من أجل أنّها كتب منزّلة من عند الله. ومن البيّن أنّ العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوّة رسول الله. ودليل صدق الوحي الّذي يأتيه, بمجرّد سماع القرآن نفسه, لا بما يجادلهم به حتّى يلزمهم الحجة في توحيد الله, أو تصديق نبوّته ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه الأنبياء مما آمن على مثله البشر. وقد بيّن الله في غير آية من كتابه أنّ سماع القرآن, يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم, وأنّه ليس من كلام بشر, بل هو كلام ربّ العالمين , وبهذا جاء الأمر في قوله تعالى :﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [1]

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحّة النّبوة, أمّا صحة النّبوة, فليست برهاناً على إعجاز القرآن. والخلط بين هاتين الحقيقتين, وإهمال الفصل بينهما في التّطبيق والنّظر, وفي دراسة إعجاز القرآن قد أفضى إلى تخليطٍ شديد في الدّراسة قديماً وحديثاً, بل أدّى هذا الخلط إلى تأخّر (علم إعجاز القرآن) و(علم البلاغة) عن الغاية الّتي كان ينبغي أن ينتهيا إليها. [2]

كما أشار إلى أنَّ هاتين الحقيقتين في فهم الإعجاز تكشفان عن أمور لا غنى للدّارس عن معرفتها:

الأوّل: أنَّ قليل القرآن وكثيره في شأن (الإعجاز) سواء.

الثّاني: أنَّ (الإعجاز) كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه, ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب, ثمّ في سائر لغات البشر, ثمّ في بيان الثّقلين جميعاً, إنسهم وجنّهم متظاهرين.

الثّالث: أنَّ الّذين تحدّاهم بهذا القرآن, قد أوتوا القدرة على الفصل بين الّذي هو من كلام البشر والّذي هو ليس من كلامهم.

---

[1] – التوبة :6 .

[2] – انظر:(مداخل إعجاز القرآن), محمود شاكر , ص153-156.

الرّابع: أنَّ الّذين تحدّاهم به كانوا يدركون أنَّ ما طولبوا به من الإتيان بمثله, أو بعشر سور مثله مفتريات, هو هذا الضرب من البيان, الّذين يجدون في أنفسهم أنَّه خارج من جنس بيان البشر.

الخامس: أنَّ هذا التحدّي لم يقصد به الإتيان بمثله مطابقاً لمعانيه, بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه من كل معنى أو غرض, مما يعتلج في نفوس البشر.

السادس: أنَّ هذا التحدّي للثّقلين جميعاً إنسهم وجنهم متظاهرين, تحدٍّ مستمر قائم إلى يوم الدّين.

السابع: أنَّ ما في القرآن من مكنون الغيب, ومن دقائق التّشريع, ومن عجائب آيات الله في خلقه, كلّ ذلك بمعزل عن هذا التّحدّي المفضي إلى الإعجاز وإن كان ما فيه من ذلك يعد دليلاً على أنَّه من عند الله تعالى, ولكنَّه لا يدلّ على أنَّ نظمه وبيانه مباينٌ لنظم كلام البشر وبيانهم, وأنَّه بهذه المباينة كلام ربّ العالمين, لا كلام بشر مثلهم.[1]

وإذا صحّ أنَّ الإعجاز كان في رصف القرآن ونظمه وبيانه بلسان عربي مبين, وأنَّ خصائصه مباينة للمعهود من خصائص كلّ نظم وبيان تطيقه قوى البشر في بيانهم, لم يكن لتحدّيهم به معنى إلّا أن تجتمع لهم وللغتهم صفات بعينها:

أوّلها: أنَّ اللغة الّتي نزل بها القرآن معجزاً, قادرة بطبيعتها هي أن تحتمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين: كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى, وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كلّ الوجوه.

ثانيها: أنَّ أهلها قادرون على إدراك هذا الحجاز الفاصل بين الكلامين. وهذا إدراك دالٌّ على أنّهم قد أتوا من لُطْف تذوّق البيان, ومن العلم بأسراره ووجوهه, قدراً وافراً يصحّ معه أن يتحدّاهم بهذا القرآن, وأن يطالبهم بالشّهادة عند سماعه, أن تاليه عليهم نبيّ من عند الله مُرْسل.

ثالثها: أنَّ البيان كان في أنفسهم أجلَّ من أن يخونوا الأمانة فيه, أو يجوروا عن الإنصاف في الحكم عليه. فقد قرَّعهم وعيَّرَهم وسفَّه أحلامهم وأديانهم, حتّى استخرج أقصى الضّراوة في عداوتهم له, وظلّ مع ذلك يتحدّاهم, فنهتهم أمانتهم على البيان عن معارضته ومناقضته, وكان أبلغ ما قالوه: (؟؟؟), ولكنّهم كفّوا ألسنتهم فلم يقولوا شيئاً. هذه واحدة. وأخرى أنَّه لم ينصب لهم حكماً, بل خلّى بينهم وبين الحكم على ما يأتون به معارضين له, ثقة بإنصافهم في الحكم على البيان, فهذه التّخلية مرتبة من الإنصاف لا تدانيها مرتبة.

---

[1] - انظر:(مداخل إعجاز القرآن) محمود شاكر, ص162-163.

رابعها: أنَّ الّذين اقتدروا على مثل هذه اللّغة, وأوتوا هذا القدر من تذوّق البيان, ومن العلم بأسراره, ومن الأمانة عليه, ومن ترك الجور في الحكم عليه, يوجب العقل أن يكونوا كانوا قد بلغوا في الإعراب عن أنفسهم, بألسنتهم المبينة عنهم, مبلغاً لا يدانى.

وهذه الصّفات تفضي بنا إلى التماس ما ينبغي أن تكون عليه صفة كلامهم, إن كان بقى من كلامهم شيء, فالنّظر المجرّد أيضاً, يوجب أمرين في نعت ما خلفوه:

الأوّل: أن يكون ما بقي من كلامهم, شاهداً على بلوغ لغتهم غاية من التّمام والكمال والاستواء, حتّى لا تعجزها الإبانة عن شيء مما يعتلج في صدر كلّ مبينٍ منهم.

الثّاني: أن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان لا يجزئ أن تكون دالّة على سعة لغتهم وتمامها, بل على سجاحتها أيضاً, حتّى تلين لكلّ بيان تطيقه ألسنة البشر على اختلاف ألسنتهم.[1]

المبحث الثّاني: السِّمات العلميّة للكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم

إذا كنّا قد قسّمنا أطوار الكتابة حول إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ أربعة أطوار, وكان همّنا هناك عرض أبرز ما في كل مؤلَّف - فإنَّ هذا المبحث سيقف وقفات سريعة إِزاء أبرز السِّمات العلميّة لكلّ طور؛ لتكتمل حلقة بيان قضية الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم.

أ- السِّمات العلميّة للكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم في الطّور الأوّل:

اتساقاً مع حركة الكتابة في العلوم عموماً وبلاغة القرآن الكريم خصوصاً حيث إنَّ بداية أيّ مرحلة تفتقر إلى بلورة خصائص هذا العلم - فنستطيع أن نقول: إنَّ أبرز ملامح وسمات ذلك الطّور فيما يلي:-

1- نشأة المباحث البلاغيّة في أحضان كتب اللّغة والنّحو.
2- التّزاوج الملحوظ بين المباحث اللّغويّة والبلاغيّة.
3- عدم اتضاح مفاهيم المصطلحات البلاغيّة.
4- دمج علوم البلاغة العربيّة في أقانيمها الثّلاثة, وعدم تحديدها.
5- عدم التّقعيد والتّبويب.

ب- السِّمات العلميّة للكتابة في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم في الطّور الثّاني:

---

[1] - انظر:(مداخل إعجاز القرآن),محمود شاكر,ص164-166.

مع الاتجاه إلى إفراد رسائل خاصة لإظهار الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم, وإدراك عدد من العلماء لهذه المزيّة أخذت الكتابة في هذا المجال تأخذ منحى يكاد يكون عامّاً وهو الدّفاع عن القرآن الكريم, والردّ على مزاعم الطّاعنين, فضلاً عن بروز السِّمات العلميّة التالية:

1- ظهور مصطلح "إِعجاز القرآن ", والبحث عن وجوه لهذا الإعجاز.
2- القبول ببعض هذه الوجوه في إعجاز القرآن الكريم, ورفض أخرى بعد تمحيصها ونقدها.
3- الاتّجاه إلى اختيار الوجه البلاغيّ عموماً دونما غيره من الوجوه الأخرى الّتي ذكرها العلماء.
4- ظهور ما يشبه التّقعيد والتّنظير والتّبويب للمسائل البلاغيّة.
5- بداية التّحليل البلاغيّ للشّواهد القرآنيّة وفق معطيات المباحث البلاغيّة.
6- اتضاح ملامح علوم البلاغة وتبلورها.
7- امتزاج مباحث البلاغة بإثبات إعجاز القرآن البلاغيّ.
8- نضج المصطلحات البلاغيّة.
9- الإشارة إلى مباحث بلاغيّة جديدة لم يشر إليها من قبل, والوقوف إزاءها بياناً وتفصيلاً وشرحاً.

جـــ- السِّمات العلميّة للكتابة في إعجاز القرآن البلاغيّ في الطّور الثّالث:

تميَّز هذا الطّور بظهور الكتب الّتي تعنى ببيان إعجاز القرآن الكريم فلأوّل مرة يصلنا كتاب يحمل مسمى "إعجاز القرآن" للباقّلانيّ, و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجانيّ, وهذا يعني بالضّرورة اتجاه تلك المؤلّفات إلى الكتابة حول إعجاز القرآن مباشرة.

وعليه فإنّ أبرز السِّمات العلميّة لهذا الطّور تتمثّل فيما يلي:-

1- ظهور وشيوع مصطلح النّظم بشكل لافت؛ إذ تكرّر عند الباقّلانيّ في كتابه "إعجاز القرآن"، وبنى عليه الإمام عبد القاهر كتابه "دلائل الإعجاز"؛ فإعجاز القرآن في نظمه.
2- إقامة الحجّة على إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ عن طريق الاستدلال بآيات القرآن الكريم, وتحليلها تحليلاً بلاغيّاً عالياً.
3- تبلور الكثير من المصطلحات البلاغيّة المتعلّقة بإعجاز القرآن الكريم, والبحث عن أسراره باصطناع البلاغة وسيلة كاشفة عن هذه الأسرار.
4- اكتمال مباحث علم المعاني في كتاب دلائل الإعجاز على يديّ عبد القاهر الجرجانيّ.
5- العناية بالتّحليل الجماليّ والتّذوّق البلاغيّ من خلال التّصدّي للكتابة في تفسير القرآن الكريم معتمداً فيه على المباحث البلاغيّة.
6- استقرار الملامح الأخيرة للكتابة حول إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ.

7- نشأة "علم البلاغة القرآنّية", أو "علم بلاغة القرآن", أو علم "أساليب البيان في القرآن"، أو "علم النّظم القرآني".

د – السِّمات العلميّة للكتابة في إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ في الطّور الرّابع:

رأينا في الطّور الرّابع جهوداً مكلّلة بسداد النّظر في بيان إعجاز القرآن الكريم، وقد استقامت هذه الجهود وفق معطيات أصحابها ونظراتهم، وتجدّد البحث على أيديهم.

ويمكن إجمال أبرز السّمات العلميَّة لهذا الطّور فيما يلي:

1- وضع مناهج في الوقوف على إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ ابتداء من تذّوق دلالات الحرف الواحد, ومروراً بالكلمة المفردة, ثمّ الجملة, ثمّ عدّة جمل.

2- تطبيق هذه المناهج على آيات كريمات تعضّد اتجاه تلك المناهج وتوضّحها في معظم ما كتب.

3- ظهور أثر الإمام عبد القاهر الجرجانيّ ورأيه في الإعجاز, في معظم ما كتب حول إعجاز القرآن الكريم.

4- الإضافة الواضحة إلى صنيع السَّابقين في بعض المؤلّفات في إعجاز القرآن الكريم.

5- غلبة الطَّابع النّظريّ في بعض ما ألفّ من كتب في إعجاز القرآن الكريم.

6- تقديم نظرات وتحليلات بلاغيّة لم يسبق إليها فيما مضى.

المبحث الثّالث: تقويم عام

يتصدّى هذا المبحث لفحص ونقد معظم ما كتب حول الإعجاز البلاغيّ في ضوء ما عرضنا من أطوارٍ للكتابة في تاريخ إعجاز القرآن البلاغيّ. ونقول ابتداء:

يعدّ كتاب أبي عبيدة "مجاز القرآن" الأساس الّذي انطلقت منه مباحث البلاغة القرآنيَّة، والبلاغة على وجه العموم.

كما ترجع أهميّته إلى أنّه أوّل دراسة تصلنا في الميدان اللّغويّ والبلاغيّ في القرآن الكريم، ويعتبر مرجعاً لكثير من الدِّراسات الّتي تلته وظهرت بعده.

ويعدّ "معاني القرآن" للفرَّاء من الدّراسات الأولى الّتي أشارت إلى المسائل البلاغيّة في القرآن الكريم، والّتي كانت أساساً أقيم عليه صرح البلاغة القرآنيّة، والبحث البلاغيّ على وجه العموم.

و يمكن اعتبار رسالة الرّمّانيّ رسالة في بيان بلاغة القرآن المعجز؛ لأنَّ شواهده الّتي ذكرها في شرح أقسام البلاغة شواهد من آيات القرآن[1].

---

[1] - انظر : (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبانيّ), د.صلاح الخالديّ,ص87.

ولعلَّ رسالة الرّمّانيّ تعدّ أوّل محاولة رائدة في مجال الكتابة في إعجاز القرآن خصوصاً, والبلاغة عموماً؛ لما حوته من تقسيمات .

كما تعدّ رسالته إحدى مفاتيح الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم في تلك الحقبة وإلى يومنا هذا؛ لأنّه صرف جلّ وكده إلى بيان وجه إعجازه البلاغيّ, عارضاً للشّواهد القرآنيّة, محلّلاً معانيها, موضّحاً. وهو عمل غير مسبوق فيه فيما وصلنا. وعليه فرسالة الرّمّانيّ من أفضل وأجود وأسبق الرّسائل البلاغيّة في بيان إعجاز القرآن.

في حين يرى د.صلاح عبدالفتّاح الخالديّ أنَّ رسالة الخطّابيّ أهمّ وأفضل كتاب في الإعجاز، وكأنَّها هي الأصل العلميّ والأساس المتين لكلّ الرّسائل والكتب الّتي ألفت في بيان إعجاز القرآن بعد ذلك. وكأنَّ كلّ تلك الكتب شرح لرسالة الخطّابيّ[1] ونخالفه الرأي فيما ذهب إليه فرسالة الرّمّانيّ أكثر توضيحاً, ووقفت إزاء الوجه البلاغيّ أكثر, وكانت شواهده أشمل, في حين اكتفى الخطّابيّ في معظمها بالرّدّ على مزاعم الطّاعنين، وهي وإن كانت تدور حول إعجاز القرآن الكريم فإنَّها لم تعنَ كثيراً بالمسائل البلاغيَّة وتحليلها، وضرب الشّواهد من القرآن الكريم عليها .

ونمضي مع كتاب "إعجاز القرآن" للباقلّانيّ والّذي يتضح من عنوانه أنّه يهتمّ أساساً بقضايا الإعجاز القرآنيّ. وقد كان أوسع إدراكاً لنظم القرآن وأشمل إحاطة ببلاغته وإعجازه؛ ولا غرو فقد نشأ في عصرٍ ترعرعت فيه العلوم البلاغيّة, واتّخذت الدّراسات الإعجازيّة صفة العلم القائم بذاته, وانفصلت عن التّفسير, وقامت دراسات خاصّة مستقلّة تبحث في إعجاز القرآن.[2]

ويرى د. أحمد جمال العمريّ أنَّ هذا الكتاب من أنضج الكتب الّتي ألّفت حول الإعجاز، إلّا أنّه في الوقت ذاته من المصادر البلاغيَّة الأساسيّة الّتي أسهمت في تحديد مسار البلاغة العربيّة.[3]

كما يرصد ملاحظتين عامّتين حول الكتاب:

أوّلاهما: أنّه نموذج لاختلاط العلوم الأدبية نقد وبلاغة وأدب، بالعلوم القرآنيّة؛ فالكتاب مجال لامتزاج هذه العلوم كلّها بالقضايا الكلاميّة.

ثانيهما: أنَّ الكتاب نموذج لتمرس علماء الكلام بالفنون البلاغيّة والأدبيّة، ورهافة حاستهم الأدبيّة، ودربة ذوقهم الفنيّ.[4]

---

[1] – انظر: (إعجاز القرآن البيانيّ ودلائل مصدره الرّبانيّ), د. صلاح الخالديّ, ص88-89 .

[2] – انظر: (الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم),أ.د عمّار ساسي, ص31.

[3] – انظر: (المباحث البلاغيّة في ضوء قضية الإعجاز القرآنيّ), د. أحمد جمال العمريّ , ص211 .

[4] – انظر:(المباحث البلاغيّة في ضوء قضية الإعجاز القرآنيّ),د.أحمد جمال العمريّ,ص227 .

وإذا ما مضينا مع الإمام عبد القاهر الجرجانيّ وجدناه يجعل نظم القرآن الكريم هو سرّ إعجازه, بل إنَّه قد جعل نظريّة النّظم هي محور ما ألّف ووضع؛ وجعلها تنداح لتشمل البلاغة العربيّة بعمومها. وقد أقام كتابه "دلائل الإعجاز" على إثبات هذه النّظريّة, والفرق بينه وبين صنيع من قبله ممن ألمح إلى النّظم كالخطّابيّ وغيره أنَّه سعى لتأكيد هذه الحقيقة من أوّل كتابه إلى آخره, واتّكأ عليها في بيانه لكافّة المباحث البلاغيّة, من خلال إثبات النَّظم نظرية وقيمة وفكرة دافع عنها كثيراً, ولا نجد عند غيره مثل هذا الصّنيع.

ولا ينكر أثره فيمن جاء بعده إلا مجانبٌ لشاكلة الصّواب ؛فقد تأثر به كلّ من أتى بعده, وعلى هامتهم الزّمخشريّ صاحب "الكشّاف" الّذي أفرد تفسيره لتحليل المسائل البلاغيّة الّتي تعرض له في سور القرآن سورة سورة وآية آية.

وكتاب "الكشّاف" للزّمخشريَّ يمثّل مرحلة هامّة في تاريخ البلاغة التطبيقيّة المبينة عن إعجاز القرآن الكريم؛ حيث حلّل عناصر البلاغة، و أبان عن لطائف المعاني بطريقة فذّة لم توجد عند سابقيه، وأفاد من جاء بعده من المفسّرين منها، بل و تعدّى هذا التّأثير إلى علماء البلاغة كالسَّكاكيّ و الخطيب القزوينيّ اللّذين تأثرا تأثراً كبيراً بتحليلات الزّمخشريّ للشّواهد القرآنيّة, و أخذا برأيه في عدد من المسائل البلاغيّة.[1] و لا ينبغي أن يغفل في هذا المقام أنّه كان تلميذاً نجيباً للشّيخ عبد القاهر الجرجانيّ؛ فطبّق نظرياته في الدّلائل و الأسرار عندما وضع تفسيره ، فضلاً عما كان يتمتّع به من ذائقة جماليّة وحسّ أدبي فأجاد فيما حلّل .

وبعد الإمامين الجليلين الجرجانيّ والزّمخشريّ لم نجد دراسة ناهضة في إعجاز القرآن البلاغيّ سوى صنيع السّكاكيّ الّذي استلهم من الإمام عبد القاهر كثيراً.

ونتقدّم إلى العصر الحديث حيث تلقانا حركة علميّة ضخمة نشأت للبحث حول إعجاز القرآن الكريم, غير أنَّ معظمها يجمع على أثرّ القرآن البلاغيّ والمتمثّل في حسن نظمه وتأليف حروفه وكلماته وجمله, وكذا صنيعة المؤثّر في القلوب, وتظلّ لتلك الدِّراسات قيمتها في أنَّها تكمّل حلقات الدّرس البلاغيّ القرآنيّ؛ فهي لم تغفل جهود السَّابقين من العلماء، وجاءت مترعة بنظراتهم البلاغيّة، مع تجديد البحث ما كان لذلك سبيلاً.

كما أنَّ هناك من العلماء من وقف إزاء ظاهرة الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم من خلال العناية بالوقوف والدّرس لظاهرة قرآنيّة واحدة من مباحث علوم البلاغة؛ فتلقانا دراسات حول الحذف مثلاً في القرآن الكريم, وأخرى في التّقديم والتّأخير, وثالثة في الفصل والوصل, ورابعة في التّشبيه التّمثيليّ أو الكناية أو المجاز . وهكذا فقد ماجت الحياة العلميّة البلاغيّة لإظهار إعجاز القرآن الكريم بهذا اللّون من

---

[1] – انظر:(البحث البلاغيّ في ظلال القرآن الكريم),د.الشَّحّات أبو ستيت,ص176.

التّأليف الّذي يكمّل حلقات إعجازه، فضلاً عمّا وضع من عشرات المؤلفات الّتي تؤرّخ لحقيقة هذا الإعجاز، وتبيّن مصادره وصوره.

وأخيراً: فإنَّ الحركة العلميّة مستمرّة. وهي كما أسلفت تتمثّل خطى العلماء السّابقين، وتعدّهم المصدر الأساس لها, ثمّ تضيف ما استطاعت من لبنة أو لبنات على ذلك البناء العظيم.

خاتمة

لما كانت قيمة أيّ عمل ترجع قبل كلّ شيء إلى طبيعة البواعث الّتي دفعت إلى الخوض فيه، ولما كنت وقفت على الإعلان عن هذا المؤتمر العالميّ الأوّل والّذي عنوانه:"جهود الأمَّة في خدمة القرآن الكريم وعلومه"، ولما كنت خلال بواكير دراستي العليّا أتوخّى تدريب نفسي وإعداد عقلي وثراء علمي باللّغة على قدر طاقتي حتّى أدخل ميدان إعجاز القرآن الكريم؛ لأنَّه هو الميدان الّذي بلغ فيه لسان العربيّة مبلغاً بعيد المنال، وقطع الأطماع، واستوت عنده الأقدام في العجز كما يقول الأئمة الكملة رضوان الله عليهم- فكان أن يممت صوب هذه الدّراسة، وأنا أدفع عن نفسي شعوراً تملّكني بالرّهبة والمحاجزة والعجز، ومع ذلك فقد أقدمت واستحضرت أنَّ الله تعالى قد جعل لأهل العلم فسحة ليعينهم على شعور الرّهبة، وذلك حين علّق أجرهم بمقاصدهم ونواياهم، وليس بنتائجهم وحساب خطواتهم، والمهم أن يتوافر الاجتهاد، وأن تتجرد النّفس لطلب الصّواب، وهكذا فقد وجدت أنَّه مما قادت إليه الدّراسة على وجازة عرضها، مما فهم من كلام علماء إعجاز القرآن الكريم البّلاغيّ، ما يلي:

اتساع مدّ الإعجاز القرآنيّ البلاغيّ، فكان لا مندوحة من أن يفرض نفسه على السَّاحة القرآنيّة الإعجازيّة.

وكذا اجتهاد العلماء قديماً وحديثاً حتّى أضاؤوا جوانب هذا الإعجاز البلاغيّ.

إنَّه مع أبي عبيدة والفرّاء تلقانا المباحث البلاغيّة وقد تمازجت تمازجاً عجيباً مع المباحث اللغويّة والنحويّة؛ لتكون بعد ذلك أساساً تنطلق منه البلاغة القرآنيّة خصوصاً والبلاغة عموماً.

ثمّ مع الخطّابيّ والرّمّانيّ أخذ الكلام في إعجاز القرآن الكريم يأخذ طابع التّقعيد, والتّبويب, والتّرتيب, والتّنظيم, وهي الفترة في القرن الرّابع الهجريّ، والّتي شهدت انبثاق آراء وأفكار حول إعجاز القرآن الكريم، وظهر مصطلح إعجاز في رسالتيهما.

وبالانتقال إلى القرن الخامس الهجريّ اتّسع القول في إعجاز القرآن الكريم؛ فظهر كتاب "إعجاز القرآن" للباقلانيّ، وقد أودعه آراءه ونظراته الخاصّة. كما ظهرت نظريّة النّظم على يدي الإمام الجليل عبد القاهر الجرجانيّ, وكذا برز الاتجاه إلى التّحليل البّلاغي لآيات القرآن الكريم كصنيع الزّمخشّريّ في تفسيره.

ودارت الدّراسات البلاغيّة دورات لنلقانا أمام القرن الرّابع عشر الهجريّ حيث أخذت الكتابة في إعجاز القرآن الكريم تتّسع لتشمل كافّة ألوان الإعجاز العلميّ، والتّشريعيّ, والتّربويّ, والتاريخيّ, فضلاً عن البلاغيّ، على أيدي علماء وفقهاء وأدباء ومفكرين أبانوا عن حقيقة الإعجاز, وأوجهه, واتّسعوا في شواهده ونماذجه, وأخذت المطابع العربّية والإسلاميّة تضخّ عشرات بل مئات المؤلّفات الّتي تتناول جانباً أو ظاهرة أو أسلوباً من أساليب القرآن الكريم, عدا البحث في تاريخه وتحقيق القول فيه ما اتّسع. وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فمعين القرآن الكريم لا ينضب، وهو في القمّة الّتي لا تطاول، وأنت من حيث أي وجهٍ أدرته وجدّت فيه سرّاً لا ينقطع.

والله أسأل أن يلهمنا الرّشد والصّواب, وأن يعيننا على فهم أسرار كتابه، إنّه وليّ ذلك، والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أثر القرآن في تطوّر النّقد العربيّ، محمّد زغلول سلّام، دار المعارف.
- الأدب العربيّ المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، ط6، دار المعارف، مصر، القاهرة.
- الأعلام، الزّركليّ، ط15، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، 2002م.
- الإعجاز البلاغيّ – دراسة تحليليّة لتراث أهل العلم، أ.د محمّد محمّد أبو موسى، ط، مكتبة وهبة، مصر ، القاهرة، 1405هـــ - 1984م.
- الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم, أ.د.عمّار ساسي, ط1, جدارا للكتاب العالميّ, الأردن,2007 م.
- الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبدالرّحمن، ط2، دار المعارف، مصر، القاهرة.
- إعجاز القرآن، الباقلّانيّ، ت : السيّد أحمد صقر، ط 3، دار المعارف، مصر، القاهرة.
- الإعجاز القرآنيّ – وجوهه و أسراره، د.عبدالغني محمّد سعد بركة، ط1،مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، 1409هـــ-1989م.

- إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عبّاس، وسناء فضل عبّاس، دار الفرقان، الأردن، عمّان، 1991م.
- إعجاز القرآن البيانيّ و دلائل مصدره الرّبّانيّ، د.صلاح عبدالفتّاح الخالديّ، ط3، دار عمّار للنّشر والتّوزيع، الأردن، عمّان، 1425هـ-2004م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة, مصطفى صادق الرّافعيّ, دار الأرقم, لبنان, بيروت.
- إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، القفطيّ، ط1، المكتبة العصريّة، لبنان، بيروت، 1424هـ.
- البحث البلاغيّ في ظلال القرآن الكريم، د. الشّحّات محمّد بن عبدالرّحمن أبو ستيت، ط1، مطبعة الأمانة ، مصر ، القاهرة ،1408هـ-1988م.
- البلاغة القرآنيّة عند الإمام الخطّابيّ, د.صبّاح عبيد دراز,ط1, مطبعة الامانة مصر, القاهرة, 1406هـ1986م.
- بنت الشّاطىء- رحلة في أمواج الحياة، وفاء الغزاليّ، دار أخبار اليوم، كتاب اليوم، مصر، القاهرة، عدد مايو، 1999م.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرحه ونشره: السّيد أحمد صقر، ط2، دار التّراث، مصر، القاهرة، 1393هـ-1973م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ت: د. بشّار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، لبنان، بيروت، 1422هـ-2002م.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ت: عمرو غرامة العمروي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، القاهرة، 1415هـ-1995م.
- تاريخ العلماء النّحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، المعرّيّ، ت: د.عبد الفتّاح محمّد الحلو، ط2، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، مصر، القاهرة، 1412-1992م.
- التّصوير الفنّيّ في القرآن، سيّد قطب، ط9، دار المعارف، مصر، القاهرة.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, الرّمّانيّ والخطّابيّ والجرجانيّ, ت:محمّد خلف الله أحمد, ود.محمّد زغلول سلام ,ط4,دار المعارف, مصر.
- دلائل الإعجاز ,عبد القاهر الجرجانيّ, ت:محمود محمّد شاكر, مكتبة الخانجيّ, مصر.
- سيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، د.صلاح عبد الفتّاح الخالديّ، ط2، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، 1414هـ-1994م.
- سير أعلام النّبلاء، الذّهبيّ، ت: مجموعة من المحققّين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، ط3،مؤسّسة الرّسّالة، 1405هـ-1985م.

- طبقات الشّافعيّة الكبرى، السّبكيّ، ت: د. محمود محمّد الطّناحي، ود. عبد الفتّاح محمّد الحلو، ط2، دار هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1413هـ.
- الطّبقات الكبرى، ابن سعد، ت: محمّد عبد القادر عطا، ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410هـ-1990م.
- الكشّاف عن حقائق التّنزيل , الزّمخشريّ, دار المعرفة, لبنان, بيروت.
- المباحث البلاغيّة في ضوء قضيّة الإعجاز القرآنيّ, نشأتها وتطوّرها حتّى القرن السّابع الهجريّ, د.أحمد جمال العمريّ, مكتبة الخانجيّ, مصر, القاهرة,1410هـ -1990م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمّد فؤاد سزكين، ج1،ط2، لبنان، بيروت، 1401هـ-1981م.
- مداخل إعجاز القرآن, محمود محمّد شاكر, ط1, مطبعة المدنيّ, مصر, القاهرة 1423هـ - 2002م.
- معاني القرآن, الفرّاء, ت:د.عبدالفتّاح إسماعيل شلبي, ط3, دار الكتب والوثائق القوميّة, مصر, القاهرة,1422 هـ-2002م.
- معجم الأدباء، كامل سلمان الجبوريّ، دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت.
- معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ت: د. إحسان عبّاس، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، لبنان، بيروت، 1414هـ-1993م.
- الموسوعة العربيّة العالميّة، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنّشر والتّوزيع.
- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذّهبيّ، ت: علي محمّد البجاويّ، ط1، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، لبنان، بيروت، 1382هـ-1963م.
- النّبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن، د.محمّد عبد الله دراز, ط5, دار القلم, الكويت, 1400هـ1980م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلّكان، ت: د. إحسان عبّاس، دار صادر، لبنان، بيروت.